

فاطمة الحارثي* : وقفوهم إنهم مسؤولون

شئت أم أبيت لنا خصوصيتنا في هذا البلد.. فلماذا تريد أن تسلبها
لتدافع عن رموز تؤمن بالعدمية الوجودية؟

في البدء أدعو الله عز وجل بالهداية لرجل يحمل أمانة الكلمة ويعرف بمقدار
هذه الأمانة وخطورتها جيداً، وهو الذي تدرج في العلوم والمعارف حتى أشرف على
نيل شهادة الدكتوراة، وما قرأت عنه أوحى لي أن الكاتب والناقد الأستاذ سعيد
السريحي قد تراجع في أمور تتصل بالحدثة وأربابها ووجودها ومدى تأثيرها في
مجتمعنا خاصة واستبشرت خيراً، إلا أن ذلك قد تبدل وانتكس انتكاسة أسأل الله
له بعدها الرشاد .

لقد علا صوته وهو يجيب على أسئلة صفحة (مكاشفات) على مدى حلقتي
يومي الجمعة في جريدة (البلاد)، وكان صوتاً نشازاً وقد تجنى على نفسه وعلى
كونه رجلاً مسلماً قبل كل شيء، إضافة لعرويته التي يغار عليها وهو يدافع عن
أرباب الحدثة ورجالات القومية العربية ممن يعرف الجميع مواقفهم ضد العرب
والذين لا يريدون وبالذات المسلمين، وإلا ما الذي يدعو للهجوم على خصوصية هذا
المجتمع ويصف الفرية على الدين واللغة و (بالنعرة) وينافح عن العرب الذين
يمجدون الانسلاخ عن عروبتنا وقبل ذلك عن إسلامنا والمكانة التي تحصل عليها
ومعه رفاقه ممن يمجدهم والذين منحوه وإياهم المكانة التي يفتخر بها ووجهوا لهم
العداوات.. أتساءل من هؤلاء العرب؟ وما مقاصدهم وغاياتهم؟.

نشرت المداخلة بتاريخ ١٧ جمادى الآخرة ١٤٢١هـ بصحيفة البلاد .

لقد نسي الأستاذ السريحي وهو يجيب قيمة الكلمة ومسؤوليتها، وأقول ما ورد في الذكر الحكيم قوله تعالى: ﴿وَقَفُّهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾ الصافات. ولقد كان اللقاء مليئاً بالتناقضات التي لا تخفى على كل ذي بصيرة، ورفع الأستاذ السريحي عقيرته مدافعاً ومنافحاً عن آرائه وأفكاره وما يتبناه منها بفلسفة عقيمة تعودناها منهم. فالحداثيون يفسفون الأمور ويدخلون في متاهات معتمة لتبرير آرائهم ومعتقداتهم.

وأول هذه التناقضات بل المآخذ والخطأ الفاحش اعتبار القرآن الكريم والسنة النبوية (تراثاً عربياً) وعندما قال: "نحن عرب وثقافتنا عربية ويوجد بيننا وبين الأقطار العربية هذا التراث العظيم الممتد من معلقاتنا إلى قرآننا الكريم إلى حديثنا النبوي الشريف وإلى شعرائنا في عصورهم المختلفة ٠٠ انتهى". الله أكبر القرآن الكريم المعجزة المنزلة على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم في نظر الأستاذ السريحي تراث عربي! إنه القرآن الكريم ووحيه المبارك قال تعالى ﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾. القرآن الكريم كلام الله المنزل ﴿وَأَنَّهُ لَنَزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴿١٩٥﴾ وإنه كتاب ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾.

وقال صلى الله عليه وسلم: «ما من نبي من الأنبياء وقد أعطي من الآيات ما آمن على البشر. وإنما الذي كان أوتيته وحياً أوحاه الله إليه فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة» متفق عليه.. هل هذا الكتاب المقدس يا أستاذنا الفاضل، كلام الوحي العظيم كالمعلقات الجاهلية، وهل هو امتداد للشعر في عصور العرب المختلفة؟ وأتمنى أن تراجع نفسك فكلنا خطاؤون وخير الخطائين التوابون.. وثاني المتناقضات التي وقع فيها الأستاذ السريحي: قوله عن خصوصية هذا البلد وهذا المجتمع

بأسلوب ينم عن تحامل يعتمل في نفسه ضد توجهات وأناس هو يعلم بها يقول: "هل الكتاب والسنة كتابان سعوديان؟ هل تستطيع أن تدعي انتماءك للقرآن بأكثر مما يشعر به مسلم في أقصى المشرق أو المغرب؟، إذن نحن ننتمي لهذا الكتاب العظيم الذي ينتمي له كل مسلم وكل ادعاء لنا بملكية خاصة له إنما هو إثم نرتكبه. انتهى".

أيها الأستاذ الفاضل

نعم لنا خصوصيتنا في هذا البلد، خصوصية هذا الكتاب العظيم القرآن الكريم وهدي سيد البشر أحاديث نبينا العظيم. إننا في أرض الجزيرة العربية، أرض الرسالات وفي مهد الرسالة النبوية لنا الفخر ولنا العز ولنا الخصوصية التي تحاول وغيرك التقليل منها، ولكن هذه الخصوصية لا تعني أننا نسلبها من كل مسلم يوحد الله عز وجل ويؤمن به في أقصى الشرق أو الغرب، ولكن كان الحديث أيها الأديب والكاتب عن الحداثيين ومن تتبعونهم من الملاحدة كأدونيس والخال وغيرهم، هل لهم خصوصية إنسان هذا البلد المسلم، هل البيئة التي يعيشون فيها كالبيئة لدينا، هل هم يدينون بالإسلام؟ هل كتابهم المقدس القرآن الكريم؟ ونبراسهم حديث المصطفى صلى الله عليه وسلم؟ لقد اعترفت بتأثير البيئة في أدبهم وحدثتهم وفصلت التراث عن البيئة؟ لقد أجبت بقولك: (لا تحدثني عن البيئة وأنت تحدثني عن التراث، أما البيئة فأنا أتفق معك تماماً في أنها لم تتجب أدونيس ولا يوسف الخال ولا غيرهم، إذن نحن نتفق أن البيئة ليست البيئة نفسها) انتهى.

سبحان الله، البيئة يا سيدي هي من صميم التراث وإلا فما تعريفكم للتراث بمعزل عن البيئة، شئت أم أبيت لنا خصوصيتنا في هذا البلد، وأنت عارف والعارف لا يُعرف، بلدنا ياسيدي تقيم شرع الله وتحتكم إليه، بلدنا بلد مسلم صميم في كل مناحي الحياة، فهل تسلبنا هذه الخصوصية لتدافع عن رموزٍ ملحدة كافرة منحلة تؤمن بالعديّة والوجودية وغيرها.

وقد دلّلت على موقفك من خصوصية هذا البلد باستشهادك في قضية الشعر الشعبي بما يكتبه مالك حداد وجوزيف حرب وبيرم التونسي.

وثالث التناقضات التي وقع فيها الأستاذ السريحي قوله: (إن لهؤلاء الحداثيين جوانب فنية علينا أن نحتمي بها، ولهم مزايا عقدية علينا أن نحذر منها عند التعامل معهم) انتهى، قلت (مزايا) ولم تقل أخطاء أو عيوباً! ومتى حذرتم الناشئة وشدة الأدب والفكر وأنتم تمجدون هذه الرموز الموبوءة وتتخذون أدبهم ومسلكتهم لكم قدوة والشواهد مطروحة لمن أراد.

أما رابع هذه التناقضات فأيعازكم بأن الحداثة انتهت حركة، وقلتم (إن الحركة لا تكون بإرادة أفراد وإنما هي تكوين مؤسسات بمعنى أن هناك مؤسسات ثقافية تقف إلى جانب أنماط فنية محددة، وهذه المؤسسات لم تعد تعطي هذه الأنماط اهتماماً أو لم تعد تقف إلى جانبها ... الخ).

يا سيدي الفاضل: القارئ المتلقي هو الحكم، والمؤسسات التي تدّعي أنها كانت تقف إلى جانب الحداثة حركة هي أفراد في تكوينها. أمر الحداثة وما ترمي إليه من انسلاخ ومحاربة لكل ما هو ديني وخلقّي أمر مفضوح، وقد اهتدى الكثير ممن كانوا وراء هذه الحركة من باب التقليد والانسحاق لكل ما هو دخیل، والساحة خير شاهد على تشرذم هؤلاء الأنصار وتفكك عرى الألفة بينهم، والاعترافات سُجّلت وجيّرت ضد كل ما هو حداثي فأی مؤسسات تدّعي في انتهاء حركة الحداثة وما المتبقي، أعطنا الدليل؟.

التناقض الخامس: تناقض لما ذكرتموه في بداية اللقاء الثاني عن خصوصية هذا المجتمع وهذا البلد يؤمن بالقرآن الكريم والسنة المطهرة دستوراً ومنهجاً وحياة، لقد أجبت على فشل حركة الحداثة بقولكم (قلت: إن هناك عوامل عديدة ضمنها

الصدمة التي أحدثتها في مجتمعنا هنا، وهنا أريد أن أشير إلى الخصوصية التي ذكرتها، خصوصية المجتمع الأقرب إلى الأمية والأكثر ريبة من الخارج والأكثر خوفاً والأكثر خطورة من ذلك أنه يتصور نفسه الأول والأخير عن قيم وثقافة العرب والإسلام.. انتهى) إذن مجتمعنا له خصوصية وبما أنها في نظرك هي الأقرب إلى الأمية، أسألك من الذين واجهوا الحداثة والحداثيين؟ وما الأمية التي تعنيها؟ أما كون مجتمعنا الأكثر ريبة من الخارج والأكثر خوفاً فهذا أمرٌ طبيعي لمجتمع عرف الهداية وعرف الحق وبين يديه أنصع بيان وأقوى حجة، هل بعدها يحتاج إلى أدبٍ وحكمة وفكر؟ وممن هي قادمة، من ملاحدة وغير مسلمين، مجتمعنا بإذن الله محصن بالإسلام وعلمائه ومفكره وأدبائه وأساتذته ممن يدينون بالإسلام ويترجمونه واقعاً من خلال الكتاب والسنة، وقلت: نحن لم نؤتِ الحكمة.. فما الحكمة التي أوتيت لغيرنا ولم تُؤتِ لنا؟ والحكمة في القرآن والسنة، أما استشهادك بموقفٍ ممن لم يثقوا بك وكنت تعتقد العكس كونك من هذا البلد، فهذا يا سيدي دليلٌ دامغ على تملكنا الخصوصية، مجتمع هو الأقرب إلى الأمية والأكثر ريبة من الخارج والأكثر خوفاً كما وصفته أنت، إذن هذا المجتمع الذي ظن بك وشكك في انتمائك مجتمع أمي، فهل كنت تتوقع حسن الظن منهم وأنت وغيرك تقوِّضون هذه الثوابت بالانسلاخ من القيم والدين والخلق بالحداثة المشبوهة؟ أما استشهادك بالآية الكريمة الخاصة بحادثة الإفك من سورة النور فهو استشهاد في غير محله، إضافة إلى ورود خطأ في استشهادكم حيث صحة الآية الكريمة ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾ الآية ١٢ من سورة النور.

أما التناقض السادس: فقولكم عن الإبداع في غايته هو سمو الإنسان في حين ذكرتم في إجابة لاحقة على سؤال عن توظيف مفردات الجنس والعبث والمجون في

الأدب لقد قلت "نعم، عندما توضع في سياق يستهدف في المحصلة النهائية الوصول إلى عالم خلقي مثالي فأين السمو في ذلك؟

أما قولكم: (لست أريد الاستشهاد من تراثا العظيم بألفاظ جنسية وردت فيه) أي تراثٍ تعني؟.

والتناقض السابع: عدم اعترافكم بأدب إسلامي وغيره من المسميات وقلت "إن الأدب هو الأدب، أما المضمون فتلك مسألة أخرى" أي أدبٍ تعني من غير المضمون؟ المضمون يا سيدي هو ما يحدد نوع الأدب، أما استشهادكم بأدب فلان من الناس بأنه إسلامي (ولم تسم) وهذا بالطبع من شدة الحساسية في نفسكم تجاه المسمى وعما لقتة، وهل شعر عبد الله بن إدريس غير إسلامي فهنا يأتي المأزق، أي مأزقٍ تعني والمأزق يا سيدي هو أن تقحم اسم شاعر كعبد الله بن إدريس، كشاعر عربي مسلم سعودي والآخر كما قلت مسلم ولم تقل فلان شاعر إسلامي مقارنة بأدونيس أو الخال أو غيرهما.

هذه المغالطات في لقاء السريحي تركت أثراً في نفسي وجعلتني أسطرها حماسة وغيره تتجلى لدى كل مسلم غيور على دينه ولغته المتمثلة في الكتاب العظيم والأحاديث الشريفة التي هي لنا نبراس ومنهج وحياة.

ختاماً أدعو الله أن أكون قد وُفِّقت فيما قلت وأطمع في الأجر والثواب والعفو والمغفرة إن جانب الصواب، وما أطمح له وأبتغيه هو الهداية والرشاد وأدعو لأخي الأديب سعيد السريحي الهداية والرشاء ومحاسبة النفس على ما قد قيل، وقد عرفت عنه من التسامح وسمو أخلاقه فحريٌّ به أن يكون صاحب قلم يدافع عن دينه ودستور حياته الكتاب الكريم والسنة المطهرة ولغته الخالدة، ولا أحسب ذلك ببعيد، والله ولي التوفيق.

تربوية وكاتبة صحفية

هاني المرشد ♦.. أسئلة بريئة من وحي المكاشفة

لولا خلفية مسبقة وثقة ما تزال عريضة في القاسم لظننا أنه أحد تلك الجوقة التي صدعتنا بموضة أو لوثة ما تدعى الحداثة.

أعتب على الأخ قاسم هذا الاحتفاء غير المبرر بضيفه التائه الذي كدنا أن ننساه بسبب تلونه الدائم وتقلباته الفكرية، وإن أنكر ذلك القرم والعطش واللهات خلف كل موضة تمنحه الشهرة والبقاء في الأضواء بعدما أفلس بشهادة رفاقه وأيضاً تقمصه العجيب لأدوار هي حتماً أكبر منه رغم أنف المحاور، وهذه بعض الملاحظات التي أرجو أن يتسع لها صدر السريحي.

شهادة الدكتوراة التي جعلها الأخ قاسم قضية، ليسمح لي بأن أقول له إنك لست يا قاسم أكثر حرصاً ولا خبرة ولا أمانة -وعذراً منك- من لجنة كونت من نخبة رائدة ضمت علماء وأكاديميين رأوا كلهم أن السريحي لا يستحق تلك الشهادة، وكم كنت أتمنى أن تمتد شجاعته فيعترف بأسباب ذلك الرفض، ولعله أثر السلامة وخانته الشجاعة التي تألقت عندما تحدث عن رفاق الأمس واعترف بكل (...). أن الرفاق كانوا يناضلون في تلك الجلسات كي يقفوا على أقدامهم، وليت الأخ قاسم لم يغلق جهاز التسجيل، في ظني والله أعلم أن الجهاز أُغلق في هذا الوقت فهي الوحيدة التي يجب أن توارى كما توارى السوءة، كي نعرف الكثير أيضاً عن جلسات النضال والهيم المعرفي التي كشفت زيف وادعاءات أولئك الجلساء الذين لا نحتاج إلى معرفة أسمائهم؛ لأن الرائحة العطنة منهم قد زكمت الأنوف، وسيسجل هذا

الاعتراف كوثيقة للتاريخ تُعرّف المناضلين والرفاق الأشاوس على ما كانوا يجتمعون للنهوض بالأمة وثقافتها، فاللهم لا شماتة، وبقي لي هنا سؤال عن كيفية معرفة السريحي لذلك وهذا الوصف لحالات التجلي تلك.

الخشية أنه كان أحدهم إبان صوفيته الحداثية في ذلك الوقت.. سؤال بريء ومشروع لأبي إقبال نتمنى ألا تخونه الشجاعة هذه المرة، اعترافه الآخر الجريء عن العملية غير النظيفة في مصادرة آراء معارضيه وقمع مجادليه في نادي جدة الأدبي وملحق (عكاظ) يجب أن نتوقف عندها ملياً، ونتجاوز السريحي إلى الدكتور هاشم عبده هاشم رئيس التحرير عضو مجلس الشورى الرجل المثقف والمسؤول الحريص على مجتمعه ووطنه ونسأله: كيف تسمح أن يمارس مثل هذا القمع والمصادرة في صحيفتك الرائدة؟ وكيف تصمت وأنت تشاهد هذه المهزلة تحدث تجاه شريحة كبيرة من أبناء الوطن؟ أمن المعقول ألا تعرف طيلة تلك السنوات الطويلة؟ إنني أبرأ أن تكون كذلك؛ لأن الأمر حينئذٍ سيكون وصمة عار في تاريخك الإعلامي، إذن هل هو رضا بما فعله القسم الثقافي لديك فتكون مشاركاً في ذلك القمع المقيت؟ وهذه أطم من الأولى!

أسئلة حائرة ولا يملك الجواب عليها سوى الدكتور هاشم وعذراً إن لم نسمع له رأياً فأمثالنا من العوام لا يملكون صرف ذلك سوى المشاركة في هذه المهزلة. وبالبراءة نفسها نتوجه بكل الأسئلة السالفة إلى الأستاذ عبد الفتاح أبو مدين بأن اعتراف السريحي يؤكد اتهام الأخ قاسم بأنك واجهة فقط للنادي الأدبي والآخرين هم الذين يديرونه! هامساً بأن التاريخ لا يرحم.

أساءل بعد هذه الاعترافات أما زالت تلك العقلية جاثمة على رؤوس الفلول الباقية من مشرفي الصفحات الأدبية بعد أن منح أبو إقبال إكليل العار للمحق

(عكاظ)؟ ماذا بشأن ملاحق (الرياض) و (البلاد) وملحق (الوطن) المنتظر؛ فالأسماء التي تناهت إلى أسماعنا عنه تقول إنهم من رفاق السريحي الأشاوس في السهرات إياها . الشكوى ما تزال من الثمانينيات للرأي الأحادي فهل ننتظر سريحاً في كل صحيفة ليعترف لنا كل عشر سنوات؟ إلى متى ستمارس مثل هذه الأساليب المعيبة؟ سؤال بريء إلى أولئك المشرفين بمثل براءة أبي إقبال من جلسات النضال .

أحد كتاب عدد (البلاد الجمعة)

د. عبدالله باسراحيل*.. عفواً فهناك صلف فكري وفوقية طاغية في خطابك!

- أعترف أن السريحي ظُلم عندما لم ينل شهادة الدكتوراة بقرارٍ اعتبره تعسفاً ضده.
 - الغدامي وقف في خط مواجهة للسريحي حين بالغ في إعلاء شأن المضمون.
 - يصدر السريحي قراراً بأن من أراد الفخر بالإسلام فله أن يتحدث عن (الشأن الإسلامي العظيم) بفن الخطابة!
 - نقول للسريحي الذي يتباهى باطلاعه على التراث إن الآداب الإنسانية كلها لا تعرف مذهباً أدبياً يملك من النصوص مثل الأدب الإسلامي.
- قرأت كغيري من القراء الحوار المطول الذي نُشر على مدار جمعيتين في صحيفة (البلاد) الغراء، ولقد كان حوار الأسئلة أبلغ من جواب المجيب، فجواب د. السريحي جواب معروف للعقول التي تدرك ماهية المقاصد والرموز، وتفاهة أو رجاحة المعاني، وأنا أعترف أن الدكتور السريحي قارئ جيد وله ذاكرة قوية للحفظ وممتلئ حتى التخمة بالقراءات الشعرية والأدبية، وأعترف كذلك أنه ظُلم عندما لم ينل شهادة الدكتوراة التي كانت مع الأسف أول بادرة تُتخذ ضد إنسان وافق شروط المنهج البحثي، وإن اختلف الآخرون معه في منهجية بحثه المتواضع، وخصوصاً أن بحثه كان مؤسساً على التراث، وليس مؤسساً على تنظيرات حداثية، بقدر ما كان مؤسساً على الاعتماد على التراث لخدمة الهدف الذي يرمي إليه ولخلخلة التراث

نشرت المداخلة بتاريخ ٢٤ جمادى الآخرة ١٤٢١هـ بصحيفة البلاد.

وإشعال فتنة الخلف الثقافي والأدبي عبر معايير التي مازال يؤمن بها، والتي لا تنطلي على كل ذي لبٍّ وبصيرة نافذة لكي يدخلنا في متاهة الضياع للموروث، ولكي تتشعب خلية الخلف الفكري لاستكمال حلقة الضياع الذي كنا نعيشه.

وأعترف أيضاً أن القرار الجامعي الذي اتُخذ ضدها وبرغم أنه يخالف النُظم الجامعية الدولية ونعتبر بقناعة تامة أنه تعسفٌ ضده، إلا أنه ولا شك حماه من نفسه، من أن يركب مراكب تقدمية لا تمت إلى بيئتنا ولا إلى واقعنا العربي والإسلامي بصلة، وكاد أن ينحدر بفكره إلى مهاوٍ لا نرضاها له لحدثة سنه في ذلك الوقت، وبغية ذبوع شهرته، فما كان يغري به من صدمة الحادثة أحييت في نفسه صدمة التراث والانتماء للثقافة والفكر العربي الذي كاد أن يجانبه الصواب فيه، وإلا فهو يعلم علم اليقين ومن شايعه أن فكرة الحادثة قد تجاوزها الزمن، وما بعد الحادثة ليعود أدراجه إلى ركوب موجة أخرى لا تقل دهاءً عن الموجة الأولى.

نلمس ذلك من خلال إيمانه بالنظريات المستوردة التي ألحَّ هو وأقرانه عليها بالدروس والبحث في تفاهاتها، عبر مضامين هشة وشللية مقبلة وتخبط أعمى، حتى جاؤوا إلينا بدمٍ كذبٍ في النهاية عرفنا أن نبي الله يوسف لم يموت وإنما أراد الله سبحانه وتعالى أن يتم أمره ليكون لنا في ذلك العبرة والعظة وليتوبوا بعدها النبي يوسف ما أمر الله به وتحققت نبوءته ويعود ليرتفع وترتفع مكانته. الوقت، وبغية ذبوع شهرته، فما كان يغري به من صدمة الحادثة أحييت في نفسه صدمة التراث والانتماء للثقافة والفكر العربي الذي كاد أن يجانبه الصواب فيه، وإلا فهو يعلم علم اليقين ومن شايعه أن فكرة الحادثة قد تجاوزها الزمن، وما بعد الحادثة ليعود أدراجه إلى ركوب موجة أخرى لا تقل دهاءً عن الموجة الأولى.

أنت حينما تقرأ ذلك الحوار تجد أن السريحي لم يتغير إلا من خلال الواقع الذي تركه فترة من الزمن وصاحبه الغدامي! ليعودا أدراجهما إلى نقطة البداية أو

إلى نقطة الصفر التي لم ترو غليلاً ولم تشف أواراً، حتى إنها لم تبل جفاف لسان الصادي إلى جيد المعرفة والثقافة، وما هي سوى بضع كتب عكف أمثاله على حفظها وترديد كلماتها فجاءت تحمل مضامين لا تهم القارئ أو الأديب في شيء، إنما هي ضربٌ من ضروب الهلوسة الفكرية لم يستفد منها المثقفون فضلاً عن أنصاف المثقفين أو الأميين، تنظيرات تحس بها حروفاً لا تحمل فكرة تستوجب الوقوف والبحث في نظرية جديدة لها مساس بواقعنا الذي يختلف بعده الثقافي عن البعد الشخصي، والاهتمام بأبعاد ليست سوى رطانات إفرنجية مكتوبة بلغة عربية استقاها وأمثاله من كتب غربية أصبحت في عداد الكتب الصفراء أو السوداء أو البيضاء إن أردت.

وعمد هو وأمثاله إلى الإسقاط اللغوي متخذين علينا هيمنة العالم المتفقة في علوم اللغة ومذاهب الأدب الغربي، كمن أضله الله على علمٍ، وقد كتب في مقالٍ سابق أن مدَّعي النقد لدينا كثير، ولكن ليست الحصيلة المقدمة للشارع الأدبي سوى بضع كلمات أكثروا الإلحاح عليها مثل السيسولوجيا والبنوية والألسنية، كلمات من كتب حفظها لبعضهم مثل الببغاء ليسخروا بها من عقول الأصحاء بأنهم هضموا التراث، لذلك فهم يتجاوزونه إلى ما بعد التراث، وبالفعل فإنهم نجحوا إلى وقتٍ ما وبدأت تتكشف سوءاتهم ابتداءً من زعيم الحداثيين العرب (أدونيس) علي محمد سعيد الذي انكشف في كتاب سرقات أدونيس للشعر الفرنسي من خلال إجادته للغة الفرنسية، وصدق الدكتور سعيد السريحي حينما قال إننا لا نقرأ ولا نريد أن نقرأ إلا في محيط الاهتمام الشخصي، وإنني هنا لا أنفي عنه صفة المثقف، كما لا أنفي عنه تهمة الإسهام في محاولة خلخلة الفكر والثقافة العربية من خلالها.

تنظيرات لا تُعبر عن همومنا وأوجاعنا، فقد اعترف أنه مثقف متناقض مع ذاته، واعترف أنه ملم إلى حد غير بعيد ببعض الثقافات، واعترف أنه والغدامي كانا

يمثلان ثنائية عبثية منشأها الكتب المستوردة، ليعلنا لنا أنهما يمثلان خلية كما قالوا، أو مجموعة تريد أن تكون في عالم كل من فيه يريد أن يكون، حتى ولو بالركوب على مجاهل الحروف وعسكرة المضامين وبعد المقارنات أو في بعض الأحيان التلصص على حرفية المعنى وشكلية الخطاب المكرور، أعترف أن السريحي خطيب مفوه ولكنه (لا هو في العليق ولا اللجام) وهو بعيد كل البعد عن واقعه ومن شايعه، وهم يريدون أن يخلقوا تفجيراً لكل من النفوس البسيطة بتجارب مسروقة من غيرهم لا تتناسب وطبيعة الأشياء، فأنت لا تستطيع زراعة الكرز في بيئتنا لاختلاف الطبيعة الجغرافية وتباين التربة الأصلية من غيرها، ولكن حدث أن زرع الكرز وغيره من الفواكه أو الشجر، ولكن بتطعيم تلك الغروس بمواد كيماوية، هذا ما فعله الغدامي والسريحي وما لبثت غروسها أن ماتت؛ لأن استيراد المواد الكيماوية مكلفٌ، فمن الأفضل استيراد هذه الفواكه من بيئتها بدلاً من غرسها ولن أحبها عليه أن يأكلها.

السريحي والغدامي اعترفا فيما اعترفا به منذ زمنٍ وحاولا تسنم بقية منابر الأدب في الوطن وحجب الرؤى عبر المد الصحفي الذي يسيطرون عليه خلال حقبة من الزمن، بدا كلاهما منظرين مروراً بمحاولاتهما، الشعرية التقليدية أيضاً، الذين هم ضد توجهاتها انتهاءً بجلجلة أخرى يريدونها وكانوا يريدون أن يمثلوا حزباً نضالياً في مواجهة الفكر الخلاق والفكر الانتمائي وإلى خلق هوية غربية متأركة ويرجون كسباً معنوياً وإذ يصابون بما سبق وقد حذرناهم منه، وعادوا الكر والفر في هذه الفترة وإلا ماذا قدم الغدامي والسريحي لثقافتنا العربية إلا الاقتباس وها هما اليوم يعتذران بدهاء لا لكي يعودا عن غيهم، ولكن لأن الرياح ضدهما. ولو أن المتغيرات العالمية في صالحهما، ولكنها لم تقدم لهما كما قدمت لدهاقتهم من أمثال محمود درويش وأدونيس ويوسف الخال والقعيد وغيرهم من أموال وأعمال من خلال المنظمات التي تسعى لتدمير مكتسباتنا القومية والإسلامية، أقول: ما هي

الإضافة التي جعلونا نتغنى بها سوى السيطرة على الصحف بجهل المؤيدين لهم وضحالة علمهم ورؤيتهم غير المعرفية من خلال الاقتباس؟ فتخيل أن هذه القلة تعبر عن ثقافة أمة ووطن وتريد أن تخرجها من الظلمات إلى النور متأسية بالثورة الثقافية الفرنسية التي أسست لنفسها منهجاً من واقعها، واستنت لها سنناً جديدة بالالتفات في نصوص موادها الأدبية، فأثرت وأثرت الساحة العالمية للأدب بما يتلاءم وطبيعة البيئة وطبيعة التجربة، فهم يريدون أن يركبوا على الواقع بتطبيق التظلمات الداخلية، وهم يجوسون عبر الديار لاستخلاص مريدين ومؤيدين ولكن الصدمة كانت أقوى، إذ إن الذي جاؤوا به لو كان تنظيراً علمياً لأخذ البحث والتجربة وأخضع للتطبيق، ولكن الأداء التطبيقي في العلوم النظرية يختلف، وربما لا يكون له النجاح نفسه وخصوصاً إذا كان يمثل الثقافة بكل أشكالها وأبعادها في التنظير لا في الإعجاب والأخذ بمكامن البلوغ والتوجيه الفكري الذي يتباين في قيمه وتاريخه وأضداده ومسلماته واهتزازاته التي ربما لا تتفق وبعض تشكيلات مدارس العربية الإسلامية والمدارس التي تحتضن أي شيء لتكون شيئاً، وفي النهاية لم تبلغ الشيء لأنها بذكائها الخارق لم تدرس قديم التاريخ، ولم تجعل للإحساس التاريخي لثقافة الأمم أي أهمية: فبالتالي سقطت من حيث أرادت أن ترتفع، وتلاشت أحلامها في هجير المنطق والواقع، والحق وثبات قواعد التراث التي ينطلقون منها. لم يدركوا تبعية تلك النظريات وما تحمله من مضامين ليست تهمنا إلا ما ابتدع من فكر خلاق يستنهض الهمم نحو تحديث المستحدث لأنها في النهاية تعرب عن تحديث لمكرور وجر لمعسور لم يبق منه سوى صدى الاعتذار وخطيئة التجربة بلا استشراف للمستقبل. ومازلنا رغم ذلك نراوح في مكاننا، لا الحداثة أحدثت فعلها ولا الأصالة التي أطبقوا عليها انطلقت فلم يأت كلانا بجديد ووقفت خيولهم المستوردة، ونحاول في تضמיד جراحات خيولنا لكي ندخل مضمار السباق من جديد.

يلاحظ القارئ لمحاورة الدكتور السريحي أنه مازال يتقعر في لغته ويتغرب في عباراته، ومازال حبيس أسماء لم تتعدّ الغذامي وتلاميذه النجباء له ولأهدافه حتى إنه من فرط مرضه بالعظمة أصبح يؤسس لريادته والغذامي ويسلبان ريادة الأصيلين من أبناء الوطن، ويحسبان أنهما يحسنان صنعا، ويتخيلان في ظل الموت الثقافي والأدبي أنهما تسنما لغة التفرد ومنابر التميز ومازالا يكابران، وما هذا الضجيج الإعلامي ومحاولة التواضع إلا نتاج نفسيات توالى عليها أحمال من عقد الزمان فأحالتهما إلى رياح داهمة تنتقل في كل حذبٍ وصوب لكي يكون لها ذلك الصرير، ونسيا أن رياح التغيير لدينا لا تمتد إلى هوية وانتماء له خصوصية دينية وأخلاقية، أقول أنسيا وهما لم ينسيا بل حاولا لإيجاد صوت أو مكان لم تلبث أن اقتلعتهما رياحهما ورمت بهما خلف أسوار النسيان.

لكم اشترك هذان وأمثالهما في حجب الرؤى وإخفاء شعرنا وإبداعاتنا وذلك يفعلانه ولم ينتهيا أو في النهاية هما يحاولان نظم شعر عربي ولم يتسنّ لهما ذلك أو ركوب مراكب الشعر الشعبي ولم يفلحا وركبا مراكب الفلاسفة، وإذا سألتهما عن ساسة الفلسفة، تأسيساً من أفلاطون وانتهاءً بعلماء الفلسفة فلا تجد عندهما من آثارهم إلا لماماً لكي يستشهدا به، أقول لهما يجب أن تنزعا غلالة الحقد الآدمي وتركا الجياد جميعها تتطلق ولسوف يفوز من يفوز بأمانة الكلمة وشرف المنازلة ويا له من عجبٍ عجاب، هل من يقول إنني أتحدى من ينازلي في التراث؟ هل نعتبره فاهماً أو مثقفاً وهو يجهل معنى الآية الكريمة "وفوق كل ذي علمٍ عليم"، ما هذا الصلف الفكري والفوقية المتردية إلى مهاوي نصف الجهلاء؟ إننا لسنا في مناظرة علمية أو أدبية يوصف فيها من يوصف بالعلم المطلق إلا في خصوصية أتيحت له بالعكوف والدراسة، وإنني والله أقول إن ثقافة أحد شعرائنا وهو الأستاذ عبد الله

جبر تتفوق على الكثير منهم، ومعالي الشيخ حسين عرب الذي هضم التراث والدكتور محمد الحارثي ولكن الحظوظ واقتصارها شيء والفطرة الأدبية شيء آخر، فليستمتعوا قليلاً ولسوف ينفرج الزمان عن الأدباء والنقاد الحقيقيين ويذهب زبدهم جفاء ويبقى ما ينفع الناس والله من وراء القصد .

أديب وشاعر سعودي

محمد موسم المفرجي*.. فلم يستبينوا النصيح إلا ضحى الغد

*هل الأدباء الإسلاميون ضلوا مثل ضلالك في الحادثة؟

وقفت على اعترافات الأستاذ سعيد السريحي على مدى حلقتي متتاليتين بجريدة (البلاد الجمعة) فقد كان لقاء مواجهة وأسئلة مدبية، أعدت إعداداً جيداً بعد رحلة طويلة في متاهات (الحادثة) وعودة وتراجع بعد الوصول إلى طريق مسدود.

ولكن مهما يكن الأمر ف"الرجوع إلى الحق خير من التماذي في الباطل"، فبعد جولات ومصادرة للآراء، ومكابرة وصلف أوصلت الحداثيين إلى المأزق النهائي، وبعضهم لا يزال يراهن وآخرون مازالوا يلهثون خلف (أدونيس ومحمود درويش وأحمد عبد المعطي حجازي وعبد العزيز المقالح) ويتسمرون أمام صورهم احتراماً وإجلالاً لهم ولأفكارهم وإيديولوجياتهم حتى قال أحدهم ذات مرة: "نحن نسير خلف أدونيس حذو القذة بالقذة" ومازال أولئك يمارسون العبث والمنهجية والتوجه نفسه مع أن المتشبهين بهذه الفكرة من أفقر الناس موهبة وأقلهم عطاءً سوى ما يقتبسونه وينقلونه من التراجم والمقولات المبتسرة، والشواهد على ذلك كثيرة، ولو أردت لكشف أولئك وفضحتهم على الملأ ولكنني أحتفظ لنفسي لكي يحين الوقت المناسب لكشف عوراتهم. أعود إلى الأستاذ سعيد السريحي لأذكره بأقوالنا ومواقفنا وإصراره ورهطه وقد حمل أمامهم لواء الحادثة، ولكن هذا اللواء سقط مع الأسف منذ سنين فكراً ومنهجاً منذ قضية (انتهت) الشهيرة.. أم إنكم لا تذكرون؟

فلقد كنا نقول ونراهن منذ البداية .. في الأخير "لا يصح إلا الصحيح". فجميع إجاباته تدل على قناعاته وإيمانه بعد تجربة طويلة ومريرة، لما واجه من معارك وتعليقات قديماً وحديثاً ووجهات نظر واختلاف رؤى وإيديولوجيات حتى على منبر نادي أبها الأدبي، حينما رفع سبابته للتشهد، وفي نادي جدة الأدبي في منح جائزة لأحدث الحداثيين الذي تبناه، وما حدث في ذلك الاحتفال.. الذي أجهض.

وها هو بعد (١٥) عاماً يخرج من تيار الحداثة خاوي الوفاض بعد التضحيات التي قدمها ووقوفه في وجه التيار، وها هو اليوم يلقي سلاحه ويولي بعدما انفض السامر لا يلوي على شيء، ومن ضمن خسائره إلغاء درجة الدكتوراة بعد أن مُنِحَتْ له، نظراً للتشكيك في توجهها، مع أنني لا أتمنى له هذه النهاية المؤلمة، لكن حماسه الزائد جعله يدفع الثمن باهظاً وبعض أولئك يتفرجون!

ومع أنني أدرك جيداً أن صراحة ابن البادية وراء ذلك؛ لأنه لا يعرف الخور ولا يجيد المراوغة ولا يحسن المداينة بدليل اعترافاته الشجاعة وانسلاخه بجرأة، ودفاعه عن نفسه مع أن غيره لا يمكن ولا يجرؤ أن يفعلها، ولم يفعلها من قبل سوى الزميل عبد الله سلمان مدير تحرير مجلة الإعلام، ففجرت اعترافاته فضائح في حينه كشفت النقاب عن الأغراض والغايات والأفكار المتوارية التي ظهرت تباعاً.

ويعترف أخيراً بملاحظة كنا نردها دائماً وهي إغلاق الباب في (عكاظ) في وجه أعمال من يخالفهم أو يخالفونهم من المبدعين، شعراء وأدباء الأصالة، فيقول الأستاذ سعيد السريحي ولكن بعد فوات الأوان "أقول إننا لم نكن في (عكاظ) نتيح الباب كاملاً لمن يخالفنا، ولا أعني هنا الرواد، ولكن أعني الذين يجالوننا في الثقافة" انتهى.

ويبقى الموضوع المهم ضمن الأسئلة التي جاءت الإجابة عليها وكأنه يحاول إمساك العصا من الوسط لئلا تغضب (الشلة) والإبقاء على شعرة معاوية (وهو حول

مسمى الأدب الإسلامي ورأيه فيه) حيث قال السريحي "كثير من المنتمين إلى الأدب الإسلامي خطباء ضلوا الطريق" انتهى.

وهنا أود أن أسأل الأستاذ سعيد السريحي: هل هؤلاء الأدباء الإسلاميون ضلوا مثل ضلالك (في الحادثة) التي اكتشفت فيما بعد خطأ توجهها وما آلت إليه وما فيها من إلحاد البياتي وتجاوزات المقالح، الذي يرفض كتابة كلمة (بسم الله الرحمن الرحيم) في كتابة بيان اجتماع الحداثيين عندما اجتمعوا في صنعاء، قبل عدة سنوات، أو تعدييات محمود درويش على الذات الإلهية وتقليد سور القرآن الكريم ليتغنى بها المطرب مرسال خليفة!

أما إذا كان في نفسك شيء من حتى فهذا شأنك، فالأدباء والشعراء والأديبات والشاعرات قد خلصت نياتهم لعقيدتهم ولم تشبها أية شائبة، فهم وهن وقفوا أنفسهم ليزودوا عن الفكر الإسلامي، ليقدموا عملاً صافياً ونقياً يخدم الأهداف والأغراض التي ترسم الحدود والعقيدة تحت المجهر بعيداً عن اللوثة والتقليد الأعمى الذي يهدم فكر الأمة وسط هذه التراكمات.

فيا أستاذ سعيد السريحي: ندرك جيداً أنك من الخصوم الشرفاء، وقد أعلنت ذلك في خضم معاركنا واختلافنا دون أن آبه لأحد أو أكثرث لأحد؛ لأننا شربنا من صحراء بداوتنا الصفاء والنقاء، وارتشفنا كؤوس الصدق والصراحة دون أن نعرف التملق والتلون.. فلك أن تدع الحادثة، ترحل إلى غير رجعة، وأن تجرد قلمك لخدمة بيئتك ومجتمعك وأمتك. فالهموم تملأ الأحداق؛ والآلام تدعونا للإشفاق؛ واحتياجات الحياة لا تطاق.

ناقد أدبي ومشرف الصفحة الثقافية بصحيفة (الندوة)

د. عوض القرني ❖ ..

أما آن لطابور الحداثة أن يرعوي فقد كثر الشهود من أهلها

- أنطق الله السريحي بما ظل ينكره الحداثيون مع أن منهجه النقدي الفكري الإبداعي يتناقض مع دينه كمسلم.
- كانت الحداثة في عنفوان بهرجها موصولة بحبل سري يدعى (مطشر) كان الموجه الفكري و الحركي لغلمان الحداثة ومراهقي النضال.
- الحقيقة الكاملة أنهم لم يتيحوا الفرصة أبداً لمخالفهم، وأن قرارات الإقصاء والتشويه وتنسيق الأدوار والاستحواذ على الملاحق والمنابر كان يتم في السهرات التي قال عنها .

لقد كشف سعيد السريحي في مكاشفاته مع (البلاد) الكثير من سوءات الحداثة التي كانت تستتر بورق التوت المتمثل في الغموض والرمز، وقد تمثلت الحداثة أوضح ما تكون في منهجها وأفكارها ولا أخلاقياتها في ما كشفه السريحي عن كتيبة الحداثة قبل أن يتشظى زيفها ويتوارى نفاقها حيث ووجهوا بأضواء الأصالة وحقائقها . للحق فإن مكاشفة السريحي تحتاج مداخلات ومتابعات طويلة، إذ إن الرجل واسع الفكر، ذرب اللسان، متمرس في فن المغالطات والمناورات، ولكنني سأقتصر في مداخلتي معه على النقاط الآتية، راجياً أن يتسع صدره لها، وأحب أن أؤكد له أنني أوّمن إيماناً جازماً بكل حرف أخطه في هذه المداخلة، وهذا هو الشرط الوحيد الذي أشرطه لقبول أي اختلاف معه.

لقد كانت السمة العامة لكلام السريحي في هذه المكاشفة هي المغالطة والحيدة في الجواب والاستخفاف بعقل وذوق القارئ، وإن كان هناك من عذر للسريحي في هذا عند العالمين بالحدائث ومنهجها فهو أن هذه السمة ليست خاصة بهذه المقابلة بل ولا بالسريحي وحده، بل هي معلم لازم للحدائث والحدائثيين عموماً وللسريحي على الخصوص؛ ولذا فلا يستغرب هذا منه، وإليك أمثلة لهذه المغالطات والتناقضات كما هو يقول "جيل الرواد كانوا يتحركون من واقع اجتماعي وظروف وشروط تاريخية محددة وفق منطقة معينة لذلك من باب التجني عليهم أن نجعلهم مجرد صدى" ثم يعود فيقول "هل لمجتمعكم تراث يختلف عن التراث العربي، نحن عرب وثقافتنا عربية ويوحد بيننا وبين الأقطار العربية" فهو ابتداءً يزعم أن هؤلاء الرواد يتحركون من واقع اجتماعي وظروف وشروط تاريخية محددة وفق منطقة معينة، ثم يعود فيناقض نفسه ويزعم أن الثقافة العربية توحد بيننا وبين غيرنا من العرب فينفي الخصوصية التي زعمها قبل قليل، وهذا هو يقول "ليس للإبداع حدود" ويقول "نعم لا بأس في توظيف مفردات الجنس والعبث والمجون" وعندما يسأله المحاور عن قضية التناول على الله ويجد نفسه في مأزق يناقض نفسه ويغالطها مرة أخرى ويجعل للإبداع حدوداً فيقول "دعني أتناول مع الموضوع، لا باعتباري ناقدًا وإنما باعتباري إنساناً مؤمناً يتحرز من هذه الأشياء"

ويعترف السريحي صراحة بأن منهجه النقدي يتعارض ويتناقض مع الإسلام، ولعل هذا هو السر في مغالطات وتناقضات الحدائثيين وهو أنهم لا يستطيعون معارضة الإسلام ورفضه صراحة في مثل مجتمعتنا، وفي الوقت نفسه يتبنون عن قناعة مناهج ومقالات وأفكاراً تناقض الإسلام فمن هو السريحي؟

يقول "منطلقني في رفضي لكثير من أبيات الشعر والنماذج القصصية هو أنني أخاف الله، وهنا لا أتحدث ناقدًا وإنما مسلماً يعرف أنه يتناقض مع مقولاته

النقدية" وهكذا ينطق الله السريحي بما ظلوا ينكرونه زمناً طويلاً من أن منهجه النقدي الفكري الإبداعي يتناقض مع دينه كمسلم، أما أيهما الدين أو المنهج النقدي الأكثر أثراً في حياة السريحي وإنتاجه، فأترك ذلك للقراء الكرام من أهل الثقافة والأدب مع زعم الحداثيين العلمية والموضوعية، إلا أن منهجهم في المغالطات يطفئ على إنتاجهم وفكرهم، فعندما يُسأل السريحي بأنه "يُتهم بأنه يؤسس لحداثة جديدة مستوفدة" يجيب "ما لكم كيف تحكمون، ما يحدث أحياناً هو أن ينتقل الإنسان بأبحاثه، لا بحثاً عن الشهرة أو جذباً للأضواء" فبدلاً من الإجابة على السؤال فيقول نعم أنا أؤسس لحداثة جديدة، أو ليس صحيحاً أنني أؤسس لحداثة جديدة، أخذ يتحدث عن الأضواء والشهرة التي لم يرد لها أي ذكر في السؤال.

ولعل من أسباب استخفاف السريحي وبقية فلول الحداثيين بعقول القراء بالإضافة لكون ذلك في أصل منهجهم هو نظرته للدونية للمجتمع السعودي ومفكره ومتقفيه، بل وحتى أدبه الشعبي، فهذا هو السريحي يشرح المجتمع بقوله "أريد أن أشير إلى الخصوصية التي ذكرتها، الأمية والأكثر ريبة من الخارج والأكثر خوفاً" وعندما يُسأل عن الأدب الشعبي لدينا يقول "أنا ضد بدونة ثقافتنا ولكن مع الشعبي حينما يكتبه مالك حداد وجوزيف حرب وبيرم التونسي وابن عدوان" وهكذا كل شيء له علاقة بهذه البلاد، هذا المجتمع مرفوض ومردود ويحتاج لشهادة تزكية من دوائر الحداثة.

ولو تأملت في مقابلة (البلاد) مع السريحي لتبين لك بوضوح أن المغالطات والتناقضات كانت واضحة في أغلب إجاباته.

فها هو ينكر لمجتمعنا خصوصية ثقافية بحجة أن الكتاب والسنة ليسا كتابين

سعوديين فقط، وهي مغالطة لا يتفوّ بها إلا جاهل أو مستعجل لقرائه، وهو الذي يعلم أن لكل مثقف خصوصية فضلاً عن مجتمع بكامل مؤسساته، ولكن ما دام الأمر يخدم الحداثة فلا مانع من القول في جلسة واحدة بالشيء ونقيضه وعاش العلم والإبداع.

والنقد العلمي الذي يقول عنه السريحي "نحن نكتب وفق منطلقات علمية" ويتهم مخالفه بأن "العلم شيء آخر غير الذي يلهجون به" ولعل هذا الشعور لدى السريحي وأضرابه بأنهم هم فقط الذين يحتكرون العلم، والحقيقة هو ما دفعهم إلى التعامل مع المخالفين لهم وفق منهج الإقصاء والتشويه والحصار الغوغائي الذي عرفت به الأنظمة الشمولية والحركات اليسارية ممن لهج الحداثيون بذكرهم ورضعوا حبهم ودرجوا على مدحهم على استحياء من أنهم "في عكاظ لم يكونوا يفتحون الباب كاملاً لمن يخالفهم" وهذا ذكر لبعض الحقيقة التي ذاق مرارتها من كان يجد له مكاناً في صحافة وطنه لبيان رأيه ووجهة نظره في الدفاع عن عقيدة الأمة وأخلاقها وقيمها!.

أما الحقيقة كاملة فهي أنهم لم يتيحوا الفرصة أبداً لمخالفهم، وأن قرارات الإقصاء والتشويه وتنسيق الأدوار والاستحواذ على الملاحق والمنابر كان يتم في السهرات التي قال عنها السريحي، وهو يكشف أيضاً بعض الحقيقة فقط "وكثير ممن يقولون ذلك يناضلون كي يقفوا على أقدامهم في آخر السهرات التي أعرفها ويعرفونها".

ولعلي أفشي سراً لعموم القراء وإن لم يكن سراً بالنسبة للحداثة وأهلها وكنا قد علمناه وكتمناه حتى جاء السريحي يمهد لنا بيان تلك السهرات وممونها. فقد كانت الحداثة في عنفوان بهرجها ونثرها لزيّفها وهشيمها موصولة بحبل سري يدعى

(مطشّر)، كان الموجه الفكري والمنظر الحركي لغلمان الحداثة ومراهقي النضال، وكان أيضاً الممّون الرئيس لاحتياجات السهرات، وكان الداعي لهم إلى مهرجان المربد حيث كان يسوق صدام زعيماً للأمة على أيدي الحداثة ونجوم الإبداع.

ولعل في كشف هذا السر عن الحداثة وأهلها ما يدفع العقلاء منهم للإدلاء بما لديهم عن تلك الحقبة التاريخية من الحداثة لدينا يكثر الحداثيون والألسنيون والبنويون ومن ترفع عنهم من الطنطنة كثيراً حول أدبية النص وقيمتها الفنية بمعزل عن رسالته وهدفه ومحتواه، فإذا كان ذا قيمة أدبية فنية أشادوا به حتى ولو كان محتواه الكفر والإلحاد والعهر والفجور وهدم القيم والأخلاق وإفساد العقول والأذواق. وهذا هو ما قاله السريحي "أنا أؤمن بأدبية الأدب وقيمة النص كنص ثم أرفض بذلك أي خلق للأدوار. ونحن عندما نقف أمام نص فإن السؤال الأول الذي يطرح علينا هو ما الذي يجعل من الأدب أدباً؟"

وبهذه الحجة الداحضة كان دفاعه عن رواية (الخبز الحافي) لمحمد شكري وتحمله الأعداء للدفاع عنه بكل سبيل. وكل عاقل يدرك أن الإنسان مسؤول عن قوله وما خطه قلمه، وأن اللغة ما هي إلا وسيلة لحمل الأفكار وإيصالها للناس، وأن قيمة الكلمة في معناها قبل لفظها وتركيبها وشكلها وهي الكلمة الطيبة التي وردت في القرآن الكريم والقول السديد.

ثمة أمر آخر، وهو أن أصحاب هذه الدعوى الباطلة لم نجدهم يوماً من الأيام يستشهدون بنص أدبي ذي محتوى إسلامي أخلاقي مهما كانت قيمته الفنية، ولا نجد دراساتهم واهتمامهم إلا بإنتاج رموز الكفر والإلحاد وبالنصوص البالغة قاع أسفل درك في الفجور والمجون والانحطاط ولو كانوا صادقين في أنهم يهتمون بالأدب لأدبيته فقط لخلطوا في اهتمامهم بين الغث والسمين.

وأمر آخر وهو أنهم لو كانوا يجمعون مع اهتمامهم بالجوانب الفنية الأدبية قيماً أخلاقية ورسالة اجتماعية لحدروا مما في تلك النصوص من كفر وإلحاد ومجون وخلاعة، ولما قدموها للشباب مؤطرة بإطار المدح والثناء والإعجاب، ثم قالوا بعد ذلك نحن نقصد فقط الجوانب الأدبية فيها، والحياة لا تقبل هذا الهراء والسفسطة، ولئن صلح هذا النهج للاهين العابثين أو تتدر وتفكّه به نزلاء المصحات النفسية والأمراض العقلية ورواد السهرات التي تحدث عنها السريحي فإن أمة يقودها محمد صلى الله عليه وسلم ترتبط الدنيا لديها بالآخرة والتقدم بالأخلاق والنظم بالعقيدة ترفض ذلك وتأباه ولا تقبل به وتنزله منزلته التي يستحقها.

✽ تردد علي لسان السريحي دعوى أنه مهتم بالتراث ينطلق من التراث وأنه أعلم من غيره بالتراث إلى غير ذلك من الدعاوى العريضة ومناقشتنا له في هذه الدعوى تتلخص في أسئلة نوجهها للسريحي، منها ما الذي أخذته من التراث؟ هل هو أدب الفضيلة والأخلاق والاعتزاز بدين الأمة وعقيدتها ومنجزاتها أم هو أدب المجون والخلاعة والزندقة على قلبه وضآلته في التراث لكنك لم تجد ما يوافق هواك سواه.

وسؤال آخر هو أثر التراث في فكرك وإنتاجك؟.. إن مجرد الاطلاع والإدراك بل الحفظ والاستذكار لا يعني الانتماء، بل الانتماء للتراث يعني الاقتناع به والدفاع عنه وتمثله في الحياة عموماً وفي الفكر والأدب والإبداع خصوصاً. أما طلب المناظرة والتحدث حول التراث ثم لا يحسن الاستشهاد بآية واحدة وردت في المقابلة ويخطئ فيها فأمر يثير الضحك والسخرية، نحن يا أستاذ سعيد لا نرى أثراً للتراث في إنتاجك، وكل إناء بما فيه ينضح، إن مخزونك الفكري ومرجعيتك الثقافية ونماذجك الإبداعية لا تسعفك إلا بكل عتُلِّ حداثي، فمثلاً عندما عتبت على الشبتي لانكفائه على نفسه ولقلة إنتاجه ضربت له أمثلة لكبار الشعراء كما قلت فلم تجد إلا سعدي

يوسف ومحمود درويش والبياتي وأدونيس والسياب وهم ما بين شيوعي وشعوبي.

لماذا لم تسعفك الذاكرة حتى بشاعر واحد من التراث أو من التراثيين المعاصرين فتدخله بين المجموعة حتى ولو من باب تحليل المسبق كما يقول الفقهاء؟ وهذا الأمر ليس في هذه المقابلة فقط، بل إنه طابع لإنتاجك كله فأين التراث يا أيها الأعلام بالتراث؟

إن سعة الاطلاع على التراث مع استبعاده من التأثير في الإنتاج الفكري والإبداع الأدبي ليس له إلا تفسير واحد، وهو أن هذا التراث على كثرته وسعته بعد الاطلاع الكبير الواسع عليه - كما تدعي - لا يرقى إلى أن يكون أحد مكونات إنتاجك، إلا إن كنت تقصد بالتراث مقولاتك عن الأسطورة والأدب الشعبي والخرافة التي هي اجترار لما قاله قدواتك في الغرب عن واقعهم وفكرهم وتاريخهم، وبالتساؤل نفسه أسألك: ماذا أخذت عنه؟ فقلت: إنه إمام مسجد وشيخ من شيوخ القراءات، فهل أخذت أنت عنه؟ الصلاة في المسجد لا الإمامة؟ وهل أخذت عنه قراءة القرآن، لا القراءات؟ أم أخذت شيئاً آخر أهلك للسهرات التي قلت عنها إنك تعرفها ويعرفها بقية الشلة؟ كفى مغالطات يا أستاذ سعيد واستخفافاً بعقول قرائك.

لقد وضع السريحي في ثنايا إجاباته ما كنا نقول به منذ زمنٍ طويل من أن الحداثة حرب وتمرد على الوضع القائم والسائد في جميع جوانب الحياة، ورفض السائد والنمطي كما يسمون! ولذلك عندما تساءل محاوره عن السر في تأييده للأدب الشعبي - وهو من فئة تدعي النخبوية - أجاب: "إنها جميعاً تسقى من ماء واحد فحينما نتحدث عن الشعبي فإننا نكسر النمط الفصيح، وحينما نتحدث عن النخبوية فإننا نكسر سيادة النمط الشائع، فكلاهما للنموذج، سلم الفصحى تكسره العامية، وسلم العامية تكسره الفصحى".

ورحم الله أهل الشعر الشعبي الذين هلّوا حين أفسح لهم الحداثيون المجال في ملاحقهم وظنوا أن ذلك احتفاء بهم، ولم يعلموا أن القضية تكتيك مرحلي لينال

الحدثيون بالأدب الشعبي من الفصحى وأهلها، ثم بعد أن يفرغوا من ذلك - لا بلغهم الله مرادهم - يُصنفون الأدب الشعبي وأهله تحت شعار النخبوية، وأنى لأهل الأدب الشعبي أن يكونوا من النخبة عند الحدثيين وهم الذين لا يقبلون في نادي النخبة لديهم، فالمتنبى وشوقي والرافعي والطنطاوي والجاسر وأمثالهم.. ولئن كان السريحي من فصيل الحداثة الأكثر مهادنة (الألسنيون) إلا أنه هنا يستخدم تكتيك وأساليب الفصيل الأكثر عنفاً (الرفاق اليساريون) ولعل ذلك بسبب المعاشة الطويلة أو من عهد بقايا العمل الجبهوي الموحد الذي كان يجمع بين (العلي) و (الغذامي) و(السريحي) و(الحربي) في ظل دعم وتوجيه الحبل السري (مطشر) الذي سبقت الإشارة إليه، ومن هذا المنطلق في تصفية الآخرين من الساحة وإقصائهم من مواقع التأثير، يرفض الحدثيون أن يكون لغيرهم نصيب من مسمى الثقافة، استمع إليه وهو يقول "كنا نتابع حركة ثقافية تمتد من حدود المملكة إلى حدود المملكة، كنا نتابع أمسية تقام في المنطقة الشرقية وأخرى في فرسان وثالثة في تبوك ورابعة في أبها. كانت الحياة الثقافية آنذاك هي التي تصنع الأسماء التي يحتفي بها ملحق (أصدقاء الكلمة)، ويقدم شيئاً". وهكذا يعلن في وضوح أنه ليست في البلد ثقافة تستحق المتابعة من ملحق (عكاظ)، إلا إن كانوا من أهل الحداثة، وتنطفئ ثورته الشعارية المضللة "فلم تعد هناك حركة ثقافية".

همسة أخيرة في أذنك يا أستاذ سعيد: لقد بذلت جهداً كبيراً وتحملت كثيراً، لكن في الطريق الخطأ، فهل آن لك، وأنت صاحب الثقافة الموسوعية والجلد والمثابرة أن تصرف ذلك في الطريق الصحيح، وهل آن لطابور الحداثة أن يرعوي وقد كثر الشهود من أهلها؟

مفكر إسلامي سعودي

د. عبد القدوس أبو صالح* يعقب على السريحي:

أنت تشطب بجرة قلم على الشعراء الذين يحملون الرسالة أياً كان نوعها

- الغدامي وقف في خط مواجهه للسريحي حين بالغ في إعلان شأن المضمون.
- نقول للسريحي الذي يتباهى باطلاعه على التراث أن الآداب الإنسانية كلها لا تعرف مذهباً أدبياً يملك من النصوص مثل الأدب الاسلامي.

اطلعت على الحوار الذي نشرته صحيفة (البلاد) في العدد ١٦١١٢ مع الأستاذ سعيد السريحي وقد تعمد محاوره أن يقحم موضوع الأدب الإسلامي.

وقد سرنني ما جاء في كلام الأستاذ السريحي من اعتدال وانفتاح وُبعد عن مصادرة آراء الآخرين، وإن كانوا يخالفونه في آرائه ومواقفه، كما أقدر صراحته التي أعلن فيها فشل الحداثة في المملكة العربية السعودية. وكان الدكتور جابر عصفور قد سبقه إلى الإعلان عن موت الحداثة في ملحق (الأربعاء).. ومع أن كثيراً من آراء الأستاذ السريحي تدعو إلى النقاش، فإني لن أعرض إلا لما عرض له حول الأدب الإسلامي.

وموقف الأستاذ السريحي من الأدب الإسلامي موقف قديم ومازلت أذكر أنه قدم ورقة عمل في مهرجان الشعر الخليجي الذي عُقد في الرياض منذ سنوات، وتعمد دون مناسبة أن ينال من الأدب الإسلامي حيث قال: "لماذا إذا وصفت وردة قيل لي: لقد خرجت عن الأدب الإسلامي".

وقد رد على الأستاذ السريحي بعض الحاضرين وكان مما قلته في الرد عليه "إنك إذا وصفت وردة فلن يتهمك أحد، ولكن إذا قلت: ما أعظم الطبيعة التي خلقت

نشرت المداخلة بتاريخ ٣٠ رجب ١٤٢١هـ بصحيفة البلاد.

هذه الوردة فقد خرجت عن الأدب الإسلامي، وإذا قلت: ما أعظم قدرة الله الذي أبدع هذه الوردة فقد دخل نصك في دائرة الأدب الإسلامي.

وأول ما نراه في محاوراة الأستاذ السريحي عن الأدب الإسلامي هو قوله: "إن الحكم على الأدب بموضوعه ليس صحيحاً، فأنا أرفض أن يكون هناك أدب إسلامي وأدب وجودي وأدب اشتراكي.. إلى آخر هذه المسميات لأن الأدب هو الأدب، أما المضمون فتلك مسألة أخرى". ولنا أن نعجب لرفض الأستاذ السريحي لما هو موجود فعلاً ونقول: إن رفضه "أن يكون هناك أدب إسلامي وأدب وجودي وأدب اشتراكي" لا ينفي وجود هذه المذاهب الأدبية، وهو يعلم أن سارتر نشر الفلسفة الوجودية عبر مسرحياته أكثر مما نشرها في مؤلفاته الفلسفية المحضة، وهناك الآلاف من الأدباء الذين اعتنقوا الفلسفة الوجودية أو مذهب الواقعية الاشتراكية وصدروا في نتائجهم وإبداعهم ما يعتنقونه.. والذي ينفي وجود النتاج الضخم الذي صدر عن هاتين الفلسفتين أو غيرهما هو كمن ينكر وجود الشمس في وضح النهار.

ونحن لا نرفض قول الأستاذ السريحي: إن الحكم على الأدب بموضوعه ليس صحيحاً وإن الأدب هو الأدب، ولكننا نقول: إن الحكم على الأدب بموضوعه فقط ليس صحيحاً؛ فالأصل أن يدخل النص في دائرة الأدب بتحقيق صدق المبدع في تجربته وبتحقيق الفنية في هذا النص، ولنا بعد ذلك أن ننظر في مضمون هذا الأدب وما دام الأدب رؤية للكون أو موقفاً منه فلا بد أن تنعكس هذه الرؤية وذلك الموقف في مضمون النص الأدبي.

وقد انتهى مذهب الفن للفن كما يقرر الدكتور محمد مندور، وهو المذهب الذي أسقط المضمون وعارض مبدأ الالتزام في الأدب، وبذلك جرد الأدب من رسالته وجعله إلهية فنية فقط.

وقد أدى إسقاط المضمون لدى أنصار مذهب الفن للفن إلى هبوط الأدب في مستنقع الإلحاد والكفر والانحلال؛ وذلك لأن الأدب عند دعاة الفن للفن "فن جميل مهمته أن يستثير الشعور بالجمال، والجمال وسيلته وغايته" وهكذا تنظر هذه المدرسة إلى جمال الشكل وبراعة الصياغة، فما دام الأديب ماهراً في صناعته بحيث يثير فينا الإحساس بالمتعة، فلا ينبغي أن ننظر في مضمون أدبه إن كان صدقاً أو كذباً، نافعاً أو ضاراً بناءً أو هداماً، وفي هذا الاتجاه يقول غوته "لا يوجد الجمال الحق إلا فيما لا فائدة منه، وكل مفيدٍ سمج لأنه تعبير عن حاجةٍ ما، وحاجات الإنسان دنيئة ومقرزة (كذا) كطبيعته المسكينة المعقدة، وكل فنان يقترح شيئاً غير الجمال فليس فناناً في نظرنا".

ويعزز هذه النظرة الكاتب الإنجليزي أوسكار وايلد الذي مات في السجن متهماً بالشذوذ الجنسي إذ يقول "ليس هناك كاتب أخلاقي وكاتب منافٍ للأخلاق، إنما الكتب إما جيدة الصياغة أو رديئة الصياغة، هذا كل ما في الأمر.

وهكذا نرى أن هذا الموقف يعزل الأدب عن الدين والقيم والمبادئ، وإني لأتساءل إذا كان رفض الأستاذ السريحي أن يكون للمضمون علاقة بالحكم على الأدب، إنما جاء نتيجة لما اعترف به من فشل حركة الحداثة في السعودية، وإلا كيف نفسر موقفه من المضمون بما هو معروف من أن الحداثيين العرب وعلى رأسهم كبيرهم أدونيس إنما بدؤوا بدعوى التحديث بالشكل لينتهوا بالمضمون، وها هو أدونيس يعرف الحداثة بأنها "تجاوز الواقع أو اللاعقلانية أي الثورة على قوانين المعرفة العقلية وعلى المنطق وعلى الشريعة، وهذه الثورة تعني الخلاص من المقدس وإباحة كل شيء" (مقدمة للشعر العربي، أدونيس ص ٢٧).

ويقول الأديب كمال أبو ديب في مجلة (فصول) مجلد ٤ عدد ٣ ص ٢٧ "الحداثة انقطاع معرفي، ذلك أن مصادر المعرفة لا تكمن في المصادر المعرفية للتراث في كتاب

ابن خلدون أو في اللغة المؤسساتية والفكر الديني وكون الله مركز الوجود، وكون الشعب الخاضع للسلطة مدار النشاط الفني، وكون الداخل مصدر المعرفة البطيئة إذا كان ثمنه معرفة بطيئة وكون الفن خلقاً لواقع جديد .

وما أدري كيف ينسجم موقف الأستاذ السريحي من المضمون مع موقف صفيه الدكتور عبدالله الغدامي الذي أعلن موت النقد الأدبي واتجه إلى ما سماه بالنقد الثقافي، ومضى بذلك يعلي شأن المضمون حتى كتب الدكتور محمد الفاضل في ملحق (الأربعاء) معلقاً على هذا الاتجاه الجديد بعنوان يقول: (الغدامي ينقلب على البنيوية والحداثة ويتبنى نظرية الأدب الإسلامي مع تغيير الاسم)، ولعل الدكتور الغدامي وقف في خط مواجهه للأستاذ السريحي حين بالغ في إعلاء شأن المضمون، وحينما اتهم جمالية الشكل بأنها عملت على تمويه المضمون وبهرجته حتى يُفتن به المتلقي، مكرسة بذلك في غرض المديح بالذات مما سماه بـ (شعرنة الشخصية العربية).

وأقول لعل هذه المفارقة بين الصديقين إنما جاءت من إعلان الأستاذ السريحي فشل الحداثة، بينما ما يزال الدكتور الغدامي يعلن استمرار وجودها، وإن كان يعرفها تعريفاً جديداً، وذلك ما أعلنه في ندوة الدكتور راشد المبارك رداً على سؤال أحد الحاضرين.. إذ كان جوابه (الحداثة هي التجديد الواعي)، وكان تعليقي على تعريفه الجديد أنه ليس هناك عاقل يرفض التجديد الواعي ولكن السؤال ما الذي نجده، وكيف نجدد، وما ضوابط التجديد؟

ونأتي بعد ذلك إلى قول الأستاذ السريحي "حينما نتحدث عن أدب إسلامي ونسمي به بضع قصائد (كذا) فماذا نقول عن بقية الأدب؟"

ولنا أن نعجب من هذا الكلام الذي يصدر عن ناقد يفترض فيه الاطلاع على الشعر العربي ثم يقول: «إن الأدب الإسلامي سُمِّيَ به بضع قصائد»، وكأن الأستاذ

السريحي لا يعرف أن مسيرة الشعر الإسلامي ونصوصه تبدأ من شعراء الرسول صلى الله عليه وسلم تردد عبر القرون والعصور إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. ويستمر الأستاذ السريحي في إثارة الشبهات حول الأدب الإسلامي قائلاً: "قلت مرة في إحدى الندوات إن شعر فلان من الناس إسلامي، فهل شعر عبد الله بن إدريس غير إسلامي؟ هنا يأتي المأزق، حينما تسمي شيئاً بأنه إسلامي فمقتضى ذلك أن تخرج ما سواه عن أن يكون إسلامياً وعندها ضيقت متسعاً".

ونقول هنا: طال ما رددنا على هذه الشبهة حتى مللنا من كثرة الرد، وما أدري لم اختار الأستاذ السريحي أن يضرب المثل بشعر عبد الله بن إدريس وهو شاعر إسلامي عضو في رابطة الأدب الإسلامي العالمية؟ ومع ذلك فليس هناك مأزق للأدب الإسلامي كما يتوهم الأستاذ السريحي وأمثاله من الذين سوف يبقون معارضين للأدب الإسلامي من منطلق إيمانهم بمذاهب أدبية يقف الأدب الإسلامي مواجهاً لها.

وقد قلنا في الرد على هذه الشبهة: إن الناس مازالوا يطلقون على المفكر الذي يكتب عن الإسلام لقب (المفكر الإسلامي) أو (الكاتب الإسلامي) ومع ذلك لم يقل أحد: إن إطلاق هذا اللقب أو هذا الوصف على نفر مختصين بالفكر الإسلامي لا يعني اتهام غيرهم في عقيدتهم أو دينهم أو وصف أدبهم بالانحراف، وإنما يعني إطلاق لقب المفكر الإسلامي أو الكاتب الإسلامي أو الأديب الإسلامي نوعاً من التخصيص الذي يدل على انقطاع المفكر أو الكاتب أو الأديب إلى هذا النوع من النتاج أو غلبة هذا النتاج على كاتبه.

ومن البديهي أن يكون هذا المفكر الإسلامي وهذا الأديب الإسلامي صادقين عن التصور الإسلامي الصحيح إذا كانا صادقين فيما ما يكتبان، وبعيدين عن النفاق

أو الارتزاق. وهل يُطلب من الأديب المسلم الذي يملك الموهبة والمقدرة الفنية أكثر من أن يصدر في جل عطائه عن التصور الإسلامي ليكون أديباً إسلامياً؟ وهل يملك المسلم الملتزم بالإسلام أن يخالف التصور الإسلامي الصحيح، أو يأتي بما يضاده ويصادمه؟ وبخاصة أن هذا الالتزام لا يحجر واسعاً ولا يُشكّل قيداً ولا يضيق عن تجربة إنسانية، ويقول الأستاذ السريحي بعد ذلك: "أنا أؤمن بأن هناك أديباً مسلماً ولكني لا أؤمن بأن هناك أديباً إسلامياً".

ونحن نقول للأستاذ السريحي: إن وصف الأديب بأنه أديب عربي أو إنجليزي أو فرنسي يعني أن هذا الأديب يكتب هذه اللغة أو تلك، وإن وصف الأديب بأنه مسلم يعني أحد أمرين: أولهما أن يكون هذا الأديب إما يصدر في أدبه عن الإسلام أي عن التصور الإسلامي، وهذا يدخل أدبه في دائرة الأدب الإسلامي وعندئذ تبقى صفة أديب إسلامي تعني أكثر دقة وتحديداً لأننا نقول حضارة إسلامية ولا نقول حضارة مسلمة.

وثانيهما وهو ما يريده الدكتور السريحي على ما يبدو لأن تسليمه بالاحتمال الأول يناقض دعواه بأن الحكم على الأدب لا ينبغي أن يعتمد على مضمون هذا الأدب، وهذا الاحتمال الثاني يعني نسبة الأديب إلى الدين كما يقال أديب مسلم وأديب نصراني وأديب يهودي، وهكذا يذهب الوصف هنا إلى دين الأديب بغض النظر عن مضمون أدبه، وهذا ما يريده الأستاذ السريحي، ويكفي للرد على هذا الرأي بأن نقول: إن كلمة (مسلم) لم تعد تتجاوز لدى الكثير من (الأدباء المسلمين) بل لدى كثير من (المسلمين) غير الأدباء ما هو مثبت فيما يسمى ببطاقة الهوية أو حفيظة النفوس، دون أن يكون للإسلام تأثير في أدب كثير من (الأدباء المسلمين) ولا في عقيدتهم ولا في أخلاقهم، بل ربما وجدت لديهم وفي أدبهم بالذات مصادمة

لكل ما يدعو إليه الإسلام ولكل ثوابت الإسلام وقيمه الأخلاقية ومُثله العليا، وهكذا يستوي أدونيس في حديثه الضالة وحيدر حيدر في تطاوله على الذات الإلهية مع الرافعي والعقاد ومع الطنطاوي وعمر الأميري فكلهم (أدباء مسلمون) لدى الأستاذ سعيد السريحي.

وأخيراً فإن الأستاذ سعيد السريحي يسوق في آخر محاورته عدداً من الأحكام والآراء المتداخلة والمكررة في منطق عجيب مما يجعلني مضطراً أن أوردتها بنصها كما يلي:

١- يقول "إن أي شاعر يتحرك من منطلق أنه يريد فكراً محدداً هو شاعر ضعيف لأنه منشغل بإيصال مضمون الرسالة ولذلك يفرط في الوسيلة التي يحمل بها الرسالة".

٢- والدليل على ذلك عنده قوله "وقد سبقنا علماؤنا حين أشاروا إلى الشعراء الذين صاحبوا الدعوة الإسلامية وتحدث أولئك النقاد عن ضعف الشعر في تلك المرحلة وقال حسان بن ثابت: الإسلام كسر ظهر شعري.. لماذا؟ لأنه انشغل بالقضية التي يحملها، وغفل عن الشكل الذي يمكن أن تتخذه قصائده".

٣- والنتيجة الأولى عند الأستاذ السريحي لهذا الكلام قوله: "هنا أريد أن أقول إن الشأن الإسلامي شأن عظيم، ويكفي المرء فخراً أن يتحدث عنه وله عندئذ أن يكون خطيباً (كذا)".

٤- والنتيجة الثانية قوله "لذلك كثير من النصوص إن لم أقل كل النصوص (كذا) التي تكتب تحت لائحة الأدب الإسلامي هي نصوص ضعيفة لأن لأصحابها همأ آخر هو هم إيصال الرسالة وليس الرسالة في حد ذاتها (كذا) في صورها ولغتها وتفسيرها".

٥- والنتيجة الأخيرة قوله "كثيراً ما تسمع إليهم فتجد أنهم خطباء ضلوا الطريق ووقفوا في منابر الشعر (كذا)١.

ونقول في الرد على الفقرة الأولى إن الأستاذ السريحي يشطب بجرة قلم على كل الشعراء الذين يحملون رسالة ما، أيأ كان نوع هذه الرسالة، وأياً كان حاملها يبلغ من الموهبة الشعرية والمكانة الأدبية ما يبلغ، وهكذا تتهاوى قمم الشعر العربي والعالمي تحت معول ناقد، ربما كان يغالط نفسه لا لشيء إلا لينال من الأدب الإسلامي ويثبت ضعفه وترديه، وهكذا يقول الأستاذ السريحي بلسان حاله: سلام على شكسبير وعلى طاغور وعلى إقبال، وسلامٌ على هيفو ولامارتين وعلى إليوت الذي كان مُعظَّمًا لديه ولدى أقرانه الحداثيين، بل سلامٌ على كل شاعر صاحب رسالة في أية أمة كان وفي أي عصرٍ عاش.

ونقول في الرد على الفقرة الثانية من هم أولئك العلماء الذين سبقوا الأستاذ السريحي إلى تأكيد ضعف الشعر في مرحلة الدعوة الإسلامية الأولى، وحبذا لو أشار إلى أولئك العلماء الذين لا يعرف منهم غير الأصمعي الذي كان صاحب لغة، وكان المثل الأعلى لديه هو الشعر الجاهلي بما فيه من جزالة وغرابة ألفاظه، وما كان للأصمعي أن يدرك أن القرآن هو الذي جعل حسان بن ثابت يتجه في شعره الإسلامي إلى السهولة وقرب المأخذ، وهي السمة التي سماها الأصمعي ضعفاً، وما كان للأصمعي أن يدرك ما لم يدركه الأستاذ السريحي من أن الإسلام ارتفع بشعر حسان وغيره من شعراء الدعوة الإسلامية إلى شعر العقيدة، فمنح هذا الشعر بُعداً إنسانياً لم يعرفه الشعر الجاهلي من قبل وصار الشاعر الإسلامي يُعبّر عن جماعة المؤمنين بعد أن كان بوقاً للقبلية بما تحمله القبلية من أوزار العصبية وأدران الجاهلية.

ولا بد هنا من الإشارة إلى خطأ وقع فيه الأستاذ السريحي الذي يتباهى باطلاعه على التراث فهو ينسب إلى حسان هذا الكلام المزعوم (الإسلام كسر ظهر شعري) ولم يقل حسان هذا الكلام وإنما هو زعمٌ منسوب إلى الأصمعي وهو قوله "شعر حسان في الجاهلية من أجود الشعر فقطع منته (أي ظهره) في الإسلام لحال النبي صلى الله عليه وسلم" وما ندري كيف يطلق الأصمعي هذا الكلام وهو يقر بأن حسان "حمل عليه من الشعر ما لم يحمل على أحد" وهذا الشعر المنحول لحسان والذي اعترف الأصمعي بصعوبة تخلصه هو الذي سوغ للأصمعي زعمه بضعف شعر حسان الإسلامي.

ونحن نقول للأصمعي اللغوي وللاستاذ السريحي الناقد كيف يخلص الضعف إلى شعر حسان وهو الذي أيده جبريل في شعره الإسلامي بدعاء الرسول صلى الله عليه وسلم حين قال لحسان: "اهجهم وجبريل معك". وحين قال صلى الله عليه وسلم: "إن الله يؤيد حسان بروح القدس ما نافح أو فاحر". والرسول الكريم صلى الله عليه وسلم وهو الذي شهد لحسان في قوله: "أمرت عبد الله بن رواحة فقال وأحسن وأمرت كعب بن مالك فقال وأحسن وأمرت حسان بن ثابت فشفى واشتفى". اللهم فاشهد أننا نبرأ إليك من زعم الأصمعي ومن متابعة الأستاذ السريحي له أمام شهادة نبينا الذي وصف نفسه بأنه أفصح العرب، وبأنه أوتي جوامع الكلم، وكان كما جاء في سيرته يستمع إلى الشعر ويهتز له، حتى كان منه أن عفا عن كعب ابن زهير إعجاباً بقصيدته (بانت سعاد) واستمع إلى الخنساء وكان يستزيدها بقوله "إيه يا خناس" واستمع من شعر أمية بن أبي الصلت إلى (مائة قافية) أي مائة بيت. وما أدري إذا كان الأستاذ السريحي تسول له نفسه بعد هذا أن يقول: إن النبي صلى الله عليه وسلم إنما أعجب بالشعر الإسلامي لحسان وكعب بن زهير والخنساء

وكعب بن مالك وعبد الله بن رواحة وغيرهم كما أعجب بما في شعر أمية بن أبي الصلت الذي قال فيه: آمن لسانه وكفر قلبه.. أقول: لربما يذهب الظن أو التعصب للرأي إلى أن يقول الأستاذ السريحي: أما إعجاب النبي صلى الله عليه وسلم بمضمون هذه الأشعار التي لا بد -حسب رأي الأستاذ السريحي- أنها كانت ضعيفة من الناحية الفنية؛ لأن كلا من هؤلاء الشعراء وأمثالهم إنما "انشغل بالقضية التي يحملها وغفل عن الشكل الذي يمكن أن تتخذه قصائده" وهذه هي عبارة الأستاذ السريحي بالحرف الواحد.

ولنا بعد ذلك أن نعجب كل العجب للنتيجة الأولى التي يخلص إليها الأستاذ السريحي في قوله: "هنا أريد أن أقول "إن الشأن الإسلامي شأن عظيم، ويكفي المرء فخراً أن يتحدث عنه وله عندئذ أن يكون خطيباً".

وهكذا وبجرة قلم واحدة يصدر الأستاذ السريحي قراراً بأن من أراد الفخر بالإسلام فله أن يتحدث عن (الشأن الإسلامي العظيم) بفن الخطابة دون أن يغامر بنظم الشعر، فهو لدى الأستاذ السريحي أدب ضعيف. وهذا يوصلنا إلى النتيجة الثانية التي يقول فيها الأستاذ السريحي "لذلك كثير من النصوص إن لم أقل كل النصوص (كذا) التي تكتب تحت لائحة الأدب الإسلامي.. هي نصوص ضعيفة لأن لأصحابها همأ آخر هو هم إيصال الرسالة وليس الرسالة في حد ذاتها ولغتها وتفسيرها".

ومع أننا لا نعلم كيف يمكن توصيل الرسالة دون صورها ولغتها وتفسيرها، فلا بد أن نسجل للأستاذ السريحي أو عليه أنه وبجرة قلم ثانية يسقط كل الشعر الإسلامي الذي امتد عبر القرون من شعر حسان بن ثابت إلى شعر محمد إقبال وعمر الأميري.

أما النتيجة الثالثة بل الثالثة الأثافي في أحكام الأستاذ السريحي بما فيها من أخطاء التسرع والتعميم المتسرع، بل نعترف بأن هناك بعض النصوص التي يظن قائلوها أن المضمون الإسلامي يشفع لهم في التقصير الفني فلا تخرج نصوص أشعارهم عن كونها ضرباً من النظم البعيد عن روح الشعر وعن التجويد الفني، وهي بذلك تخرج أصلاً عن أن تدخل في دائرة الأدب الذي لا يحلق إلا بجناحي المضمون والشكل، وإذا ما هيض أحد الجناحين عجز النص عن التحليق في سماء الشعر وأصبح حجة على الأدب الإسلامي لا حجة له في يد النقاد والمتربصين بالأدب الإسلامي من أمثال الأستاذ السريحي.

ولكننا نقول للأستاذ السريحي وأمثاله ما قلناه في حوار مع صحيفة (رسالة الجامعة) التي تصدرها جامعة الملك سعود "إن الآداب الإنسانية كلها لا تعرف مذهباً أدبياً يملك من النصوص الإبداعية وامتدادها أربعة عشر قرناً غير الأدب الإسلامي.. سواء ما كتب باللغة العربية أو ما كتب في لغات الشعوب الإسلامية، وسواء ما كان في الأدب القديم أو ما أبدع في العصر الحديث.

ولقد أتيج لي أن أكتب بحثاً في غرض واحد من أغراض الشعر الإسلامي في الأدب القديم هو شعر الحماسة الإسلامية فاجتمع لي كم هائل من الشعر بدءاً من شعراء الرسول صلى الله عليه وسلم في معركتهم مع كفار قريش، ثم ملحمة الفتوح الإسلامية في العصر الأموي، ثم تيار الحماسة الإسلامية.. فكيف إذا أضفنا إلى ذلك شعر الزهد الذي لم يستطع أحد أن يجمع كل ما قاله أبو العتاهية فيه، ثم شعر الدعوة الإسلامية وشعر الدعاء والابتهال إلى الله.

وفي العصر الحديث تألق الشعر الإسلامي على يد البارودي الذي دارت حماسياته على صورة المجاهد المسلم، وتبعه أمير الشعراء أحمد شوقي في

إسلامياته الخالدة وفي رثائه للخلافة الإسلامية، وجاء بعده أحمد محرم بملحمته الإسلامية، وكان ذلك كله إيذاناً بطوفان الشعر الإسلامي متمثلاً في شعر العودة إلى الإسلام وفي الرد على هجمة المدرسة التغريبية، وفي شعر المناسبات الإسلامية، ثم كانت ملحمة الشعر الإسلامي في مقاومة الاستعمار وفي مأساة فلسطين وأفغانستان وأخيراً في البوسنة والهرسك وكوسوفا والشيستان، وفي شعر الصحوة الإسلامية. أفيقال بعد هذا: حينما نتحدث عن أدب إسلامي وتسمى به بضع قصائد؟! ويقال عن الشعراء الإسلاميين منذ فجر الإسلام إلى اليوم إنهم "كثيراً ما تسمع إليهم فتجد أنهم خطباء ضلوا الطريق، ووقفوا في منابر الشعر؟! ". أفلا يحق لنا أن نقول: إن الشعراء الإسلاميين الذين استضاء شعرهم بمشكاة الوحي وهدى النبوة، وجعلوا من شعراء الرسول صلى الله عليه وسلم مثلاً يقتدون به، لم يضلوا ولم يلتبس عليهم منبر الشعر بمنبر الخطابة، ولكن الذين ضلوا طريق الشعر وغير الشعر هم الذين خرجوا من عباءة أدونيس وجعلوا من الشعر معميات وأحاجي غامضة فضلوا طريق الشعر وخلطوا بينه وبين طريق النثر وأفسدوا معناه ومبناه.

الأمين العام لرابطة الأدب الإسلامي

قمع المثقف..

من وحي مكاشفة السريحي

بقلم: عبد العزيز محمد قاسم

يسأل كثير من الأخوة المتابعين لنا عن مغزى هذا الطرح في عددنا الأسبوعي. وما فتئوا يلحّون على معرفة الأهداف التي نتوخاها من هذه المكاشفات التي نقدمها وتلك الأسئلة الصدامية التي ربما لم يتعودوا عليها، وربما أيضاً تشعر القارئ بخلفية الحكم المسبق والاستعداد. وتمضي السؤالات التي نتلقاها دائماً تعتب علينا إثارتنا لملفات قد أغلقت ودار الزمن عليها، وما الذي يمكن أن تضيفه هذه الحوارات إلى ساحتنا الثقافية في حاضرها الآن. وبيّكت علينا أحد الأحبة بأننا نعتمد إلى الإثارة الصحافية، نمتطيها، لنسوّق عددنا الأسبوعي. وآخر يهمس حادبا بأننا نلعب بالنار عندما نصادم أقصى اليمين بأقصى اليسار؛ لأن الخسارة في سياقها النهائي كارثية على المجتمع. أما الثالث فيها تفننا عاتباً بسبب تسليطنا الأضواء - بزعمه - مرة أخرى على حركة ثقافية انتهت وتفرق أساطينها أيدي سباً وانقلب بعض روادها عليها قائلاً: لقد استمتعنا في مكاشفاتكم الأخيرة مع سعيد السريحي بمصارعة غير شريفة بينهم، بيد أننا نعتب عليكم إعادة الأضواء لهم وقد كدنا أن ننسى تلك الحركة الفكرية البائسة..

لكل أولئك الأحبة شكر يتضوع بالامتنان، باسطين رؤيتنا لهم.. وكلنا أمل بأن نظفر بشيء من إعادة النظر في أحكامهم تلك، أو منحنا على الأقل فرصة التجريب.

في اعتقادنا بأن الاحتراب الشهير الذي شهدته ساحتنا الثقافية في الثمانينيات الميلادية بين تيارى الأصالة والحدثة، والذي اشتد أواره بعد إصدار د. سعيد بن ناصر الغامدي شريطي "الحدثة.. حقائق ووقائع" وبعدهما بفترة بسيطة كتاب د. عوض القرني "الحدثة في ميزان الإسلام" وما تلا ذلك كله من معارك، ارتدت التشنج والتصنيف، وتحولت في بعض فصولها إلى معركة حياة أو موت للتيارين المتحاربين، برأينا أن ذلك لم يكن لو كان ثمة أرض للحوار والتسامح. ذلكم عندما سيطر الأخوة من تيار الحدثة بفصيليه على معظم الصفحات الثقافية. مارسوا بكل أسف قمعاً لمخالفهم، وصادروا كل صوت معارض لهم بطريقة قريبة من التآمر الفكري والصحافي بلا أية مبالغة أو تهويل. يحكي د. سعيد بن ناصر لكاتب السطور - بكل الأسى والمرارة - كيف أنهم كانوا يبعثون لسنوات بتعقيباتهم ومداخلاتهم فلا تجد طريقها للنشر، وما ثمّ إلا سلة المهملات. وليت الأمر توقف عند ذلك؛ بل عمد بعض محرري تلك الصفحات إلى النيل منهم والتهكم بهم في سخرية ممجوجة في مربع ردود خاصة بعبارات تحكي سادية وسقوط المثقف في نفسياتهم النزقة!!

بريكم ما الذي يمكن أن ننتظره حيال هذا التطرف المريع؟ وما الذي نتوقعه من أناس صودرت آراؤهم بأسوأ أنواع الصلف المهني؟. ويبقى أن نسجل هنا تقديرنا وتقدير كثير من المنصفين للمثقف الحرّ الدكتور سعيد السريحي الذي امتطى الفروسية واعترف بكل نبل وشجاعة في مكاشفاته بتلك الأخطاء التي ارتكبت بحق مجابليهم.

إن إيجاد أرضية للحوار يلتقي فيها أبناء الوطن الواحد بكافة توجهاتهم أمر ملحّ، ونزعم أن ثمة إحساساً مشتركاً لدى كثير من مثقفينا، بعد كل سنوات الاحتراب، بأن المجتمع في مسيس الحاجة إلى تماسكهم. وتجذّر هذا الإحساس بعد حرب الخليج التي أسقطت شعارات متهاكمة عاش البعض يحلم ويقنات بها، ابتداء

من بقايا القوميين التي أجهز على بقية حلمهم القديم بالوحدة.. المهيب صدام حسين عام ٩١م، وانتهاء بالأيدلوجيات المختلفة التي تبدى عوار زعمائها لكل ذي بصيرة ونظرة أولئك كلهم لمجتمعنا الخليجي والسعودي بشكل خاص..

إن كشف بعض الجوانب المبهمة في فكر المثقف والتي تلتبس على معارضيه ومواجهته بذلك جانب نوليه كثيراً من الأهمية والأولوية لقطع تلك الظنيات والأوهام التي ربما يبني البعض أحكامهم عليها. كل ذلك في سبيل سعيينا نحو تقريب المسافات لأطياف رموزنا الفكرية الوطنية، مؤملين في إيجاد ملامح عامة تنتظم النخب المثقفة تاركين التوجهات والميول الخاصة لأصحابها كسنة بشرية فطرها الله. ويوافقنا المفكر السعودي الشهير د. تركي الحمد بأن ثمة أكلافاً لا بدّ من دفعها في البداية، وربما تجلى بعض منها في تلك الحدة والتجريح في ثنايا الحوارات والمداخلات التي نشرناها، مما يزيدنا إصراراً و يقينا مع توالي الحوار تحت سمع المجتمع وبصره بأنه ستتشأ لغة بإذن الله من الثقة والاعتراف بالآخر في مناخ حضاري مترع بحسن الظن تصب جميعها في صالح وطن الحب والتسامح. والله أعلم

مدير تحرير صحيفة (البلاد)

السريحي وقصة تشكُّل الوعي

❖ د. سعيد، أحدثت مكاشفاتك لغطاً كبيراً في الساحة الثقافية وقت نشرها وأستأذنك في عودتي هذه للبحث في خوابي الذاكرة عن مراحلك الأولى التي شكلت لنا سعيد السريحي جرياً على عادة مكاشفات التي أحدثت بعد لقائك. نبدأ بمرحلة الطفولة وهي مرحلة عذبة ونود أن نعطينا قليلاً مما علق في ذاكرتك عن فترة طفولتك ونشأتك الاجتماعية؟

- لم يكن في طفولتي شيء استثنائي، كان إحساسي بها هو إحساس الإنسان الذي يفتح على العالم يوماً بعد يوم، حيث أستعيد ذكرياتي عن فترة الطفولة - وأنا أكثر قدرة على استعادتها من استعادتي ليوم أمس - عبر أحداث ومواقف وأتساءل دائماً.. هل تلك المواقف التي تبدو عابرة والوجوه التي ربما مرت مرة واحدة في حياتي والكلمات التي ربما قيلت دون أن يُلقى لها بال، ترى هل هي المؤشرات التي انتهت بي إلى ما انتهيت إليه؟ ما الذي يجعلها حية في الذاكرة حتى اليوم؟.. ضرب من الحزن أحياناً وضرب من التوق لتلك الأيام هو ما أحياء دائماً.

❖ بودي هنا لو سردت لنا بالتفصيل تنشئتك الاجتماعية ونحن نتناول فترة الطفولة بهذه السياحة الفلسفية؟

- دعني أقول لك إنني من أبناء الرويس، وهي المنطقة التي سقطت بين كرسيين، ليست من جدة ولكنها ليست من البادية، سكانها هم البدو الذين ضاقت بهم الحياة في أوديتهم وقراهم وجبالهم فسعوا إلى المدينة، لم يمتلكوا الإمكانيات

هذا حوار أجري مع د. سعيد السريحي بعد انتهاء المكاشفات ولم يُنشر.

ليدخلوها فظلوا على هامش المدينة، الرويس كانت دائماً هي هامش المدينة وهامش البادية؛ لذلك أصبحنا تائهين في انتمائنا، ينظر إلينا أهل المدينة على أننا بدو، وينظر إلينا أهل البادية على أننا قد تحضرنا، أصبحنا بدواً حينما نكون مع حضر جدة وحضراً عندما نكون مع بدونا.

❖ هذه الأجواء التي تسرد.. متى كانت؟

- أنا أتحدث عن أواخر السبعينيات الهجرية وأوائل الثمانينيات. أتذكر ونحن نتهياً ونحن في الصف الخامس الابتدائي عندما كنا نتهياً لعرض الطلاب أمام الأمير مشعل بن عبد العزيز حينما أقيم الاحتفال بتولي الملك فيصل العرش، أتذكر الشيخ عبيد الله أبو زهرة الذي كان مفتشاً للتعليم يأتي ويذهب بي إلى غرفة المدير لكي أُكَلَّفَ بالقاء كلمة تلاميذ المدرسة أمام الأمير مشعل، وكنت أشعر أن هذه الثقة هي دعامة قوية ولعلها أصعب مهمة قمت بها في حياتي، أن ألقى كلمة المدرسة وأنا في الصف الخامس الابتدائي أمام الأمير مشعل، إذا هذه الأبوية التي كانوا يعاملونا بها وهذه الثقة التي كانوا يمنحونا إياها، وذلك التشجيع الذي كنا نلقاه من تلك الوجوه التي تسكن القلب، أتخيل أنها أثرت كثيراً.

❖ مَنْ مِنْ أَصْدِقَائِكَ فِي تِلْكَ الْفِتْرَةِ الَّذِينَ حُفِرَتْ أَسْمَاؤُهُمْ فِي ذَاكَرَتِكَ يَا دَكْتُور؟

- كثيرون، دعني أذكر منهم زكي سالم حمدان مدير المساجد في أوقاف جدة، وحمدان سالم حمدان وهو كابتن طيار في الخطوط السعودية، وعبد العزيز التويم استشاري طب الأطفال في مستشفى الحرس. وأنا أتذكر هذه الأسماء لزملائي في الصف الابتدائي الأول، ومن زملاء المرحلة الابتدائية أتذكر سليمان مناع وكان أصغر مني بعام.. هذا الرجل الذي يمثل الجانب المقموع في الشاب الجريء القادر على اللهو والاستمتاع بالحياة والقادر على مواجهة

مجموعة من العادات الاجتماعية، يبدو أنه النقيض لي وأنا مازلت أحتفظ بصداقته إلى اليوم، ولكنني كنت دائماً أشعر أنه يستطيع أن يفعل ما لا أستطيع أن أفعله، ويتحدث بالطريقة التي أتمنى لو أستطيع التحدث بها، كان هو الوجه النقيض لي ولكنه كان الوجه المقموع فيّ.

دعني أتذكر من هؤلاء اسماً آخر وأسأل الله له الرحمة وهو عايد عيد الرفاعي، هذا الرجل الذي قرأت اسم طه حسين لأول مرة في كتاب كان يحمله هو ونحن في الابتدائية. ولأول مرة أرى رواية لنجيب محفوظ كانت معه، هذا الفتى الصغير أصيب بحالة من الفصام العقلي في آخر المرحلة الإعدادية، وقضى سنوات في مستشفى الأمراض العقلية.. وحينما رأى أهله أنه بدأ يتمثل للشفاء وزوجوه وبعد عام آخر سقط ميتاً دفعة واحدة، دون أن يصاب بأي مرض آخر، ومازلت أحتفظ برسائله التي كان يبعث لي بها من مستشفى الأمراض العقلية وهو من الأصدقاء الذين يسكنون القلب، هؤلاء جميعهم قد لا يعرفهم أحد ولكنهم بالنسبة لي أعرف من كثير من الأعلام التي يتحدث عنها الناس.

❁ في تلك الفترة هل تكونت ملكة القراءة لديك؟ ومن الذي أثر في سعيد السريحي الفتى؟

- مازلت أتذكر مشهد أبي وهو يجلس على دكة في البيت وفي يده كتاب أطفال، قرأ لي نصف القصة واسمها (الصيد التائه)، ومازلت أتذكرها الآن وهي من قصص الأطفال التي كان يكتبها أمين بويدار وسعيد العريان، قرأ نصف القصة وفيها يتوه البطل الفتى في الصحراء ويبدأ يعاني من العطش والجوع، ثم توقف والدي عن القراءة وأنا أكاد أبكي وأريده أن يكملها لي وقال لي: "إذا أردت أن تعرف فأكمل بنفسك". وأكملت تلك القصة تماماً، وكانت تلك أول قصة أقرأها وأنا في الصف الثاني الابتدائي، وأتذكر تلك القصة لأنني احتفظت بها إلى

أواخر الابتدائية ثم فقدتها، إذأ بدأت القراءة من الصف الثاني الابتدائي، في الابتدائية قرأت تقريباً معظم السيرة الشعبية مثل: سيف بن ذي يزن، ألف ليلة وليلة، الزير سالم، وحمزة البهلوان وهو من أعظم الكتب التي قرأتها. في أواخر الابتدائية انفتحت على قراءة طه حسين على يد عايد الرفاعي، وأتذكر أنني كنت أقرأ ولا أفهم لكنني كنت أقرأ وعلى نحو خاص كتاب (ألوان) ومازلت أحتفظ بتلك النسخة من الكتاب وعليه توقيع عايد عايد الرفاعي، مدرسة الرويس الابتدائية.

في المتوسطة - ويبدو أن ثمة وضعاً مقلوباً - بدأت أقرأ للمنفلوطي، وكان يجب أن أقرأ له قبل ذلك، أما في الثانوية فقد تعرفت على رجلٍ عظيم اسمه العقاد.

✽ عضواً دكتور. لا أريد أن نستبق المراحل وأرجو أن نأخذها مرحلة فمرحلة، هل ثمة كلمة تحب أن تختتم بها مرحلتك الابتدائية؟

- أريد أن أقول، لو لم يدرس سعيد المرحلة الابتدائية في مدرسة الرويس الابتدائية لدى الشيخ عبيد الله خضر وعرف أولئك الزملاء وعلى نحو خاص عايد الرفاعي ربما لم يكن سعيد هو ما هو عليه الآن بخيره وشره.

✽ ننتقل للمرحلة الإعدادية، ذكرت أنك تعرضت لصدمة حضارية وأنا أريد أن نتحدث عنها بإسهاب لأنني أتصور أنها مهمة جداً، وحتى نستطيع أيضاً أن نسقطها على آخرين كثيرين؟

- كانت المرحلة المتوسطة بمثابة انفتاح على وضع اجتماعي مختلف، حيث كان الزملاء يأتون من بيئات مختلفة، يوشك أن يكون الزملاء في مدرسة الرويس جميعهم من قبائل حرب وجهينة، اللهجة نفسها والعادات الاجتماعية والقيم والوسط الاجتماعي البسيط الأقرب إلى الفقر، وفي المتوسطة بدأنا نشعر أن ثمة فارقاً، ليس في اللهجة التي نتحدث بها أو الألقاب التي تُختم بها أسماءنا،

وإنما كذلك في القدرة الاقتصادية، حيث كان يأتينا من يتحدث أنه قضى الصيف في لبنان.. وربما كان قضاء الصيف في لبنان ليس متاحاً لنا ناهيك عن مصر أو لبنان.

بدأ الإنسان يستشعر أن في مجتمعا مسافات اجتماعية وفوارق، اتسمت هذه المرحلة باكتشافنا للطبقية الاجتماعية إذا صحت التسمية واختلاف الطبقة الثقافية أيضاً، ثمة أشياء يتحدثون عنها ونحن لا نعرفها، لأول مرة نعرف أن بإمكاننا أن نخرج من المدرسة ونذهب إلى بوفيه البرج ونأكل ساندويتشات، لأول مرة أستطيع أن أخرج وأذهب إلى المكتبة المجاورة ورغم أنني لم أكن أملك القدرة على أن أشتري كتاباً لكنني كنت أستطيع أن أتصفح الكتب، عرفت أن بإمكانني أن أستلم مصروف الشهر من والدي مقدماً وأستطيع أن أشتري أحد دواوين إيليا أبو ماضي بأربعة ريالات ونصف الريال، بإمكانني أن أوفر شهرين وأشتري كتاب أبي القاسم الشابي (أغاني الحياة) بأربعة عشر ريالاً.. في المرحلة المتوسطة بدأت الفوارق تظهر، هذا أهم ما يسم تلك المرحلة.

❖ هل من شخصيات أثرت على توجهك خلال تلك المرحلة؟

- دعني أذكر بالخير الأستاذ صالح عبد الله المطوع، وميزة هذا الرجل أنه نجح معنا عندما درسنا اللغة العربية في الصف الأول، وعندما انتقلنا للصف الثاني انتقل معنا، وعندما انتقلنا للصف الثالث انتقل معنا كذلك، فدرسنا ثلاث سنوات متتالية، هذا الرجل لم يكن يتردد أن يعيرني من مكتبته أي كتاب ومازلت أحتفظ بكتاب (ميزان الذهب) وعليه إهداء من الأستاذ صالح المطوع عندما كنت في الصف الثاني المتوسط وهو كتاب في العروض والقافية، لم يكن أستاذاً فحسب ولكنه كان صديقاً وكان لا يصحح دفاتر التعبير فحسب، بل كان يدفعني لكتابة خارج ما هو معروض من الطالب وأعرضها عليه، وكنت أجد منه

كل تقدير، كان محباً لتلاميذه بحق، على يد هذا الرجل أدركت جمال اللغة العربية، وقد عمل هذا الرجل في حقل التعليم وأظنه قد تقاعد قبل سنتين أو ثلاث وكان موجهاً تربوياً في آخر أيامه.

✽ عفواً لهذا السؤال.. هل توفيت والدتك وأنت صغير يا دكتور؟

- لا، توفيت والدتي قبل أن أناقش الماجستير بأسبوع واحد فقط.

قراءات السريحي الشرعية

✽ أستفسر عن القراءات الشرعية لك.. هل ثمة منها في تلك الفترة مرت عليك

وقراتها؟

- في تلك الفترة لا.

✽ وماذا عن قراءاتك في مرحلة الإعدادية؟

- في الفترة الابتدائية سرقتني السيرة الشعبية التي ذكرتها لك، أما في مرحلة الإعدادية فقد انفتحت على الشعر وكنت أقرأ بشغف لإيليا أبو ماضي وأحمد صافي النجفي ومعروف الرصافي وأبي القاسم الشابي.

✽ متى كان ذلك يا دكتور؟

- كان ذلك في أعوام ٨٧ و ٨٨ و ٨٩ هجرية، تلك الفترة كانت تتسم عندي بالشعر وكان يشجعني الأستاذ صالح المطوع، وكان هو الذي ينصحني بأن أقرأ لفلان. وكان يعيرني الكتب أو أشتري كتاباً بأربعة ريالات ونصف الريال من مطبوعات دار بيروت وما تزال تلك الكتب هي نواة مكتبتي التي أحتفظ بها إلى الآن.

✽ ماذا عن الجانب السياسي دكتور.. هل كانت لك اهتمامات سياسية إبان تلك

الفترة لاسيما أنها كانت ذروة صعود الناصرية؟

- لا، كنا نحيا هزيمة ٦٧ وإحباطاتها والانكسار الذي حدث ومجلة الحوادث التي كان والدي يحضرها لي أسبوعياً، كان هناك إحساس بالهزيمة لكن لم يكن هناك أي أفق سياسي.

✽ **بصراحة ألم تأخذك موجة الناصرية التي عمت في تلك الفترة؟**

- لم أكن أعرفها، أنا قادم من مجتمع بسيط هو مجتمع الرويس، حيث كان همّ آبائنا الشاغل هو أن يوفروا لنا لقمة العيش، لم تكن الثقافة في قواميسنا ومازالت السياسة أجنبية عليّ حتى اليوم.

مرحلة اللبّات الفكرية

✽ **ننتقل إلى المرحلة الثانوية، أين درست؟**

- درست في مدرسة الشاطئ الثانوية، وهناك كان النموذج الأهم مرة أخرى هو مدير المدرسة الأستاذ جميل عبد الجبار الذي كنا كطلاب نتداول له تسمية هي هتلر، وذلك نسبة لشاربه المحفف وشخصيته القوية، ولكن إلى جانب شخصيته القوية فقد كان يعلمنا كذلك الجرأة، أتذكر في تلك المرحلة قمنا بعمل صحيفة حائطية هي (أنوار ساطعة) ولم تكن كتلك الصحف التي تُرسم وإنما كانت لوحة إعلانات نكتب مقالاتنا بأيدينا فيها وتُعلّق، وكانت لي زاوية يومية فيها اسمها نقد اليوم، وبدأت أكتبها باسم (ابن الليل)، وكنت أرجع في ذلك إلى جدي (راضي أبو الليل)، كنت أخشى من ردة الفعل لدى الأساتذة والزملاء إذ إنني كنت قاسياً وغير موضوعي في ذلك النقد، بدءاً من نقدي للطلاب الذين يحملون أمشاطاً في جيوبهم وانتهاءً بنقدي للإدارة التي كانت تقوم بالإصلاحات في مباني المدرسة في وقت كنا ندرس فيه، وأتذكر أن الأستاذ جميل عبد الجبار دخل علينا وسألنا "من هو ابن الليل؟" فقلت له "أنا" فقال لي

"لماذا لا تكتب باسمك؟" فقلت له "لأنني أخاف" فأغلق الباب بعنف ولا تزال كلماته ترن في أذني إلى اليوم "اللي يخاف ما يكتب واللي يكتب ما يخاف". تلك الكلمة من تلك العلامات المضيئة تماماً والتي أحفظها للأستاذ جميل عبد الجبار عندما كنت في الصف الثاني الثانوي.

إذاً جميل عبد الجبار كان بشخصيته القوية جداً والحازمة جداً والعادلة جداً نموذجاً آخر من الذين أضأوا لي الطريق.

✻ أعود لمسألة القراءات في تلك الفترة. وأكيد من أنك تتفهم وقرائني أهمية ذلك في فهم السريحي الآن؟

- في تلك الفترة بدأت أقرأ في قضايا الفكر بدءاً من العقاد، أتذكر جيداً (عقائد المفكرين في القرن العشرين) وكتاب (الله) وقرأت كذلك لأحمد أمين (في ضحى الإسلام) وانفتحت على التيار العقلاني الاعتزالي. وأتذكر في تلك الآونة كيف كنت أقرأ وألخص ثم أعيد الكتابة مرة أخرى وثانية وثالثة لكي أتذكر، تلك المرحلة كانت مرحلة القراءة في الفكر.

✻ بمن تأثرت في تلك الفترة من الكتاب الموجودين في سماء الفكر العربي؟

- العقاد .

✻ هل هو تأثر خاص بك أم بجيلك كله؟

- كنت وحيداً في قراءتي له وتحديدأ بعد أن فقدت عايد الرفاعي.

✻ من من زملائك في تلك الفترة الذين مازلت تتذكرهم؟

- دعني من باب الوفاء أتذكر زملاء المرحلة المتوسطة مثل: هشام عابدين وهو الآن مدير أحد أفرع البلدية في جدة، وأتذكر هشام عرب وهو الآن استشاري طب نساء وولادة في مستشفى الدفاع، وعلي الحربي الذي لا أعرف أين هو

الآن. وأتذكر علي صالح الغامدي وكان دكان والده في (سوق الندي) متكاً لي حينما أذهب، وكان يجلس في دكان والده كثيراً وأتذكر زملائي الذين استمرت صداقتي بهم.

أما في الثانوية فقد اكتسبت زملاء آخرين مثل صالح بوقري وهو هذا الأخ الذي لم تلده أمي وهو الآن نائب مدير عام الخليجية، وكان يمثل لي الشخص القادر على الانفتاح على العالم والناس والقادر على احتواء الآخرين بحبه للناس وقدرته على التواصل، وأتذكر هاني سميح وهو الآن مدير مكتب الخطوط السعودية في دولة إفريقية، وأتذكر نايل سبان وخالد علي مهنا وهو محاضر في جامعة الملك عبد العزيز في قسم التاريخ.. أولئك الذين يسكنون دواخلي.

المرحلة الأهم

✳️ ننقل الآن إلى المرحلة الجامعية.. إلى أين اتجهت يا دكتور؟

- في عام ١٣٩٢ كنت الثاني في اختبارات الثانوية العامة على مستوى المملكة، لم يكن لي هدف سوى أن أدرس اللغة العربية، ولم يكن في جامعة الملك عبد العزيز بجدة قسم للغة العربية فاتجهت إلى مكة وكانت معضلة حينما رفضت والدتي أن أسكن في مكة لوحدي، فذهبت العائلة معي، وكان علي والدي أن يدفع الضريبة فدفعها. أتذكر أنني كنت خائفاً من ألا يتم قبولي فقضيت فترة ما قبل المقابلة الشخصية.

في الاستمارة لم يكن مكتوب أنني الثاني على مستوى المملكة فأررفت الجريدة التي تحدد العشرة الأوائل.

قابلت الأستاذ محمد صالح حوطة وكان في القبول في كلية الشريعة وليس في جامعة أم القرى، سألتني الأستاذ محمد صالح "هل أنت الثاني على مستوى

المملكة؟ " فقلت: له نعم فسألني: "ماذا تريد أن تفعل هنا؟ " فقلت له: لأدرس اللغة العربية. فقال لي: "ماذا تريد أن تصبح؟ " فقلت له: "معلما" فقال لي: "لماذا؟ قلت له: "كاد المعلم أن يكون رسولا" فقال لي: "سيبك من هذا الكلام الفارغ واذهب إلى كلية أحسن" فقلت له: "أريد أن أصير كما أريد".

أتذكر أنني عندما كنت أستعد للاختبار قرأت المعلقات السبع ثم تقدمت للمقابلة الشخصية وكان فيها الدكتور راشد راجع والأستاذ علي بكر الكنوي يرحمه الله والدكتور مصطفى عبد الواحد، أتذكر أنهم سألوني عما أحفظه من أبيات الشعر فقرأت لهم أبياتاً من قصيدة عمر أبو ريشة (أوراق ميت)، ثم سألوني ماذا تحفظ كذلك؟ فقرأت لهم من الموشح الأندلسي، فقال لي الدكتور مصطفى عبد الواحد: "يا ولدي تذكر أنك تتقدم لكلية الشريعة"، ولا أدري أي شيطان نطق على لساني فقلت له: "يا سيدي أذكرك أن الأخطل قال: الأدب لا دين له" فقال الأستاذ علي بكر: "لقد أسمعت فأطربت" قلت له وآمل أن أكون قد أسمعت فأرضيت فقال لي: "أرضيت وأرضيت" وأثناءها كان الأستاذ راشد راجع يتناول ملفي ويعيد قراءة استمارتي، كانت تلك هي خطواتي نحو كلية الشريعة قسم اللغة العربية.

- ✽ من من الأساتذة الذين مروا بك لهم عليك فضل ولتذكر لنا بعض المواقف؟
- لكل أستاذ مر عليّ فضلٌ لا يُنسى.. دعني أتذكر الشيخ علي بكر الكنوي يرحمه الله فقد درّسني النحو، وكذلك عبد البصير عبد الله حسين فقد درّسني الأدب الأندلسي وأدب المقارنة، دعني أتذكر حسن باجودة فقد درّسني الأدب الجاهلي. بل دعني أتذكر - وأرجو أن تكتبها بالنص - الدكتور محمود زيني (رغم ما حدث بعد ذلك كله) فقد كان أستاذاً لي كذلك، والأستاذ عمر الطيب الساسي، دعني أتذكر الدكتور عبد الصبور مرزوق وهو رئيس مجلس المساجد في مصر.

- ✽ عضواً لمقاطعتك.. هل الدكتور عمر الطيب الساسي كان أستاذاً لك؟
- نعم فقد درّسني الأدب المقارن ومنحني درجة ١٠٠٪، ودرّسني كذلك الأدب السعودي ومنحني درجة ٩٧٪، وفي لقاءٍ معه فيما بعد قال مازحاً أو جاداً (كانت غلطة) وهو من أساتذتي الذين أدين لهم، ولكن دعني أتذكر الدكتور ناصر الرشيد فقد درّسني الأدب العباسي وهو رجل فاضل.
- ✽ أطرح مرغماً استغراباً يشي بأن هؤلاء الأساتذة والأسماء الأعلام الذين ذكرتهم وتلك توجهاتهم المحافظة والأصيلة وبعد ذلك يشرد سعيد السريحي ويغرب في توجهه؟
- دعني أقول لك: إنني درست على يد الشيخ محمد القاسمي، ودرست على يد الأستاذ محمد أحمد جمال مادة الثقافة الإسلامية، وقد كان هؤلاء أساتذة أفاضل. ولكن دعني أذكر لك اسم الأستاذ الذي غير مجرى تفكيري تماماً وهو الدكتور لطفي عبد البديع، وهو الذي درّسني مادة النقد الأدبي في السنة النهائية، وعندما عدت إلى الجامعة كان في يقيني أنني لم أعد إلى الجامعة بل عدت إلى لطفي عبد البديع، فدرست على يديه مرحلة الماجستير والدكتوراة، وهو الرجل الذي فتح لنا الباب ثم ولجنا جميعاً بعده، وهو الرجل الذي لا نزال نأكل لقمة عيشنا بعلمه.
- ✽ من من أقرانك وزملائك في تلك الفترة؟
- من الزملاء الذين يسكنون القلب الدكتور عالي القرشي، والدكتور عثمان الصيني، ودخيل الله أبو طويلة، والدكتور عاصم حمدان، والدكتور سعد الغامدي، والدكتور عبد الله الغامدي، وقد تخرجنا في تلك الدفعة ١٤ طالباً بامتياز مع مرتبة الشرف الأولى والثانية.

* متى كان ذلك؟

- كان في عام ١٣٩٦هـ.. كانت مرحلة الانفتاح على الثقافة بشكل عام، وكنت أقرأ في الفلسفة بشكل جيد ولا أتردد في أن أقول إنني قرأت في الوجودية بشكلٍ شغوف بها، قرأت العديد من الروايات العالمية في ذلك الوقت وقرأت في الاعتزال بشكلٍ أكبر وعياً وتفهماً على نقيضه. كذلك قرأت التصوف في تلك الفترة إضافة للمدارس النقدية المختلفة عبر الكتب التي كانت مقررة أو الكتب التي كانت تقع في يدي.

* في هذه الفترة اتجه اهتمامك إلى الأدب الحديث أو الأدب الحداثي الذي يمثله يوسف الخال وأدونيس؟

- لا، لم يكن انفتاحي على هذه الأسماء في تلك الفترة، كان انفتاحي على الفلسفة وعلى الفكر الحديث وليس على الأدب الحديث، أما هؤلاء فقد تعرفت عليهم أخيراً، أنا لم أقرأ لأدونيس إلا متأخراً وكذلك يوسف الخال ومحمد الماغوط وعبد الصبور كذلك، لكنني كنت منشغلاً بالقضية الفكرية والفلسفة نفسها، في تلك الفترة كنت في الفلسفة الوجودية وفي التصوف ونقيضه الاعتزال. لم تكن قراءاتي منحصرة في اتجاه لكنها كانت منفتحة على الاحتمالات المختلفة، أما النماذج التطبيقية في الأدب الحديث فقد تعرفت عليها أخيراً؛ ولذلك كان اهتمامي في رسالتي الماجستير والدكتوراة في الأدب العباسي، وكانت رسالتي الحقيقية هي أن أضع هذا الأدب أو أن أعيد قراءته وفق المقولات الفكرية الحديثة.

* لأصارك بأنك تهريت من سؤالاتي السابقة، وهأ أنا ألتف عليها مرة أخرى دكتور سعيد.. يشده مثلي وأنا أستمع لهذا الكلام وهذه الأسماء الأعلام التي

ذكرت والتي هي دون شك أسماء كبيرة، كل هذه الأسماء لم تستطع أن تؤثر

فيك أو لم تحتوك، كيف تفسر ذلك يا دكتور سعيد؟

- من قال إنها لم تحتوني وأنها لم تؤثر في؟ أنا أقول إن وقفات مصطفى عبد الواحد - ويؤسفني أنني لم أذكر اسمه إلا الآن - الدقيقة أمام تفسير البيان النبوي والقيم البلاغية الموجودة، وأتذكر أنه ظل لمدة أسبوعين يحلل لنا الحديث النبوي في مواقع لا يعلمها كثير من الناس، وأتذكر أنني بعد ذلك درّست ثمانية عشر عاماً في الجامعة وفي كل فصل دراسي كنت آخذ هذا الحديث في الجزئية الخاصة بالبيان النبوي وأشرحه لطلابي مستعيناً بما كان يدرسنا إياه الدكتور مصطفى عبد الواحد.

من قال إنني لم أتأثر بشخصية علي بكر الكنوي؟ هذا الرجل الذي تشعر أنه من قوم لم تعد لهم بقية بخلقه وسماحته ورغم أنه لا يحمل شهادات أكاديمية إلا أنه كان قادماً من حلقات العلم وكان يدرسنا النحو.

من قال إنني لم أتأثر بحسن با جودة وهو الذي كان يحلل لنا التركيب الفني في سورة يوسف عليه السلام؟

من قال إنني لم أتأثر بناصر الرشيد وكان نموذجاً للأستاذ الذي يعلمنا في الجامعة، ولأنني كنت محظوظاً بجيرته كنا نلعب الكرة في العصر، من قال إنني لم أتأثر به وكان يسرب لنا ونحن طلاب تلك الأبيات التي كان يتداولها الأساتذة داخل الكنترول ونشارك فيها أنا وأبو طويلة بأبيات من نوع شعر النقائض فيأخذ أبياتنا إلى الكنترول ويشعرنا بأنه لا توجد مسافة بيننا وبين الأساتذة.

من قال إنني لم أتأثر بعبد البصير عبد الله حسين وهو يقرأ لنا الشعر بشفافية من يكتب الشعر، وكنا نشعر وهو يقرأ لنا الشعر أنه هو قائله.. أولئك جميعاً تركوا فينا بصمات.

- ✽ ذكرت قبل أسطر لطفي عبد البديع بنوع من الوله؟
- الدكتور لطفي عبد البديع فقد كان هو المؤثر في الاتجاه الفكري الفلسفي في تناول النص، أما التأثير فأولئك جميعاً.
- ✽ هل ترى أن تأثير هؤلاء الذين ذكرت بنوع من الإفاضة - جزاك الله خيراً - ظهر في مسيرتك اللاحقة فيما بعد. لأنني وأصارك القول أنها لم تظهر على الأقل في فترة الحداثة؟
- أنا لا أشك في ذلك. وأنا أدين لهم بالفضل جميعاً وأكاد أتذكر مواقفهم وهم يشرحون لنا، وأكاد أتذكر كلماتهم وهم يشجعوننا على مزيد من العطاء. دعني أتذكر من أساتذتي الأستاذ جميل ظفر وكان أستاذاً لي في مادة النحو كذلك حيث إن الشيخ علي بكر الكنوي قد درسني في السنة الأولى والثانية ثم درسني الأستاذ جميل ظفر في السنة الثالثة.. إذا هؤلاء جميعاً كانوا أساتذة بحق.
- ✽ كيف تقرأ هذه المرحلة الجامعية دكتور سعيد السريحي؟ أريدك أن تتقمص شخصية الطالب المتخرج وتطل عبر ذاكرتك إلى تلك الأيام لتسمعي بوحك وأحلامك؟
- أشعر بحزن كبير فأنا لم أكن أملك شيئاً غير أن أحلم، أملك الآن أشياء كثيرة ولكنني لا أملك الحلم. في تلك المرحلة كنت إذا قرأت شعراً أحلم بأن أكون شاعره، وعندما أقرأ درساً في النقد كنت أحلم بأن أكون ناقد، لم أكن أملك شيئاً، ولكنني كنت أملك حلمي، كان كل شيء حولي كبيراً وكانت أحلامي أكبر، الآن لم أعد أملك الحلم. كنت أقول لدخيل الله أبو طويلة.. دعنا نستعيد ليلة واحدة من الليالي التي كنا نجلس فيها في قهوة سكر. كنا في ذلك المكان لا نتورع عن أن نتحدث عن المسرح العالمي.

مرحلة الماجستير

- * بعد ذلك أكملت الماجستير يا دكتور سعيد؟
- اشتغلت سنتين في التعليم العام لأن العقد بين التعليم والمعارف كان يقتضي أن يذهب جميع الخريجين إلى التعليم العام، ثم بإمكان التعليم العالي أن يستعيد منهم من يرشحون للماجستير، فكان عليّ أن أذهب سنةً وانتهى العقد بين التعليم العام والمعارف في تلك السنة ورفض التعليم العالي أن يجدد العقد فيذهب الجميع وذكر مسؤولوه أن عليهم أن يختاروا المعيدين، ورفضت المعارف أن تخلي سبيلنا فقضيت سنة أخرى في التعليم درست فيها الدبلوم العالي في الإدارة والتثقيف التربوي ثم عدت إلى الجامعة بعد ذلك.
- * متى عدت للجامعة يا دكتور؟
- عام ١٣٩٨ هـ وأكملت في الدراسات العليا في قسم اللغة العربية بكلية اللغة العربية بعد أن انفصلت عن كلية الشريعة وأصبحت كلية.
- * في ماذا كانت دراستك؟
- كانت في أبي تمام بين النقد القديم والنقد الجديد.
- * من كان المشرف؟
- د. لطفي عبد البديع.
- * أزعم أنني لم أكتف ولم أتغلغل جيداً لضيق وقتك يا دكتور، ولكن ربما ما سبق كافٍ لقارئ أن يلم بشيء من ماضي حياتك وتكون وعيك الثقافي، فهل من كلمة أخيرة تود أن تختتم بها هذه الذكريات؟
- أنا أشعر أنني لم أعش شيئاً استثنائياً، ونحن عندما نتحدث عن أنفسنا نتخيل أنفسنا أننا كنا استثناءً، ما ذكرته هو ما يذكره أي صديق آخر، الاستثناء

الوحيد هو أنني أجد نفسي في دائرة الضوء وأتحدث إلى صحفي، هذا هو الشيء الذي يمكن أن يجعل الأمر كأنه استثناء، أما ما تحدثت عنه فليس فيه استثناء. هذه هي كلمة أولى.

أما الكلمة الثانية فهي ما أردده دائماً وهي أنني رجل وجد نفسه بالصدفة في وسط الحياة الثقافية، ولم أسع إليها ولم أجرب كما يفعل غيري، بل ظلت قابلاً في مكتبي حتى تجاوزت الثلاثين من العمر.. ودفعة واحدة وجدت نفسي في ساحة مليئة بالتشويش. لم أكن أعرف كثيراً مما يجري حولي فقد كنت أشارك وأنا أعرف بالكاد الأسماء التي تشارك معي، زرت نادي جدة لأول مرة وقبل مرور عام أصبحت عضواً في مجلس إدارته، زرت (عكاظ) لأول مرة وبعد مرور عام ونيف أصبحت مسؤولاً عن القسم الثقافي فيها، حاضرت بالصدفة وكانت مغامرة من نادي جدة أن يطلب مني إلقاء محاضرة بعد أن سمع مني تعليقاً ولكني بعد سنتين ونيف كنت قد زرت سبع عشرة منطقة في المملكة محاضراً.

كانت الأشياء تتم بتوفيق من الله، ولا أدعي فيها جهداً أو نشاطاً أو حركة وإنما كنت إنساناً مسيراً بإرادة الله، وبعد أن زرت سبع عشرة مدينة وقرية أغلقت الأبواب في وجهي ولم أسأل نفسي لم فتحت ولم أغلقت. لا أسعى إلى شيء ولست حريصاً على شيء.

منذ أن عرفت الوعي بالآخرين في المرحلة الابتدائية وأنا أشعر أننا نعيش هزيمة ٦٧ وهزيمة الصراع العربي الغربي، إذن أشعر بالإحساس بالهزيمة القومية والوطنية والتي وصمت كل العصر، اليوم كنت أحاول أن أكتب شيئاً وأعد له، وماذا ترانا نعد غير أكفاننا، فنحن عرفنا تماماً هذا الإحساس المر بالهزيمة، كل ما نمتلكه هو أحلامنا الشخصية وأوهامنا التي نعرف أنها لن

تقدم شيئاً ولن تؤخر شيئاً. لا فرق بين السبعينيات والثمانينيات والتسعينيات، فقط كنا في فترة من الفترات نملك أحلاماً فردية، حتى هذه الأحلام لم تعد موجودة الآن.

✽ أليس هذا يا دكتور جلداً للذات أكثر من المطلوب؟

- هو إحساس بالتشاؤم ودعني أقل لك إن الفرق بين المتشائم والمتفائل هو أن المتشائم يعرف أكثر، ليس في الأفق ما يمكن أن يُشكّل مخرجاً لنا، لا على مستوى وضعنا مسلمين أو عرباً.. نسأل الله المغفرة.

✽ يقودني هذا التشاؤم الملّغ لكلماتك إلى سؤالك: ما الذي تحقق مما كنت

تصبو إليه وما الذي لم يتحقق؟ وما الذي فقدت الأمل في تحقيقه؟

- صدقتني أنني حتى عندما أخلو لنفسي لا أستطيع أن أحدد، ما الذي كنت أحلم به تماماً وما الذي تحقق، فأنا كما قلت لك رجل يجابه أقداره، الذي تحقق هل لاجتهادي نصيبٌ فيه؟ هل هي أشياء تأتي بالصدفة؟ هل أنا الآن أكثر مما أردت أم أقل؟ أما الشيء الذي فقدت الحلم به فهو الحلم نفسه، لا أشعر أنني فقدت شيئاً، أشعر بفضل الله ونعمته علي كثيراً، ولو عدت إلى بداية حياتي فسأمضي في الخطوات نفسها وأستسلم لنفس الأقدار، لست أشعر بخسارة أي شيء سوى القدرة على الحلم.

✽ هل من كلمة للإخوة الذين حاوروك ولو بشيء من القسوة؟

- لا أتردد في أن أقول إنهم كلما حاوروني ازدادت لهم حياءً، أنا أؤمن بالحوار من دون حدود، ويقولون الحوار لا يفسد للود قضية ولكني أقول إن على الود ألا يفسد للحوار قضية. ينبغي أن نختلف وإذا اجتمع الساسة وأصحاب القرار فعليهم أن يتفقوا وفي ذلك خير، وإذا اجتمع المثقفون والمفكرون فعليهم أن

يختلفوا وفي ذلك خير. الاختلاف معناه أننا نترصد للحقيقة أكثر من سبيل
وكلما تعددت هذه السبل كانت أكثر ثراءً، لذلك أؤمن تماماً بضرورة الاختلاف
ولعلي لذلك أستعدي الآخرين لمزيدٍ من الخلاف معي وأحمل لكل الذين اختلفوا
معي الود والتقدير وأسأل الله أن يوفقنا جميعاً لما فيه الخير.

